مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: الحكمة النظرية في كتاب إحصاء العلوم للفارابي دراسة فلسفية
اسم الكاتب: هاني بن عبد الله الملحم
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/9273
تاريخ الاسترداد: 2026/06/07 13:38 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد 20، العدد 2
ذو القعدة 1444 هـ / يونيو2023م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

يونيو 2023م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 20 العدد 2
https//:doi.org/10.36394/jhss/20/2/7

الحِكْمةُ النظريَّةُ في كتابِ إحْصَاءِ العلوم للفارابيِّ
دراسةٌ فلسفيَّةٌ

هاني بن عبد الله الملحم[1]

تاريخ الاستلام: 17-08-2021 **تاريخ القبول: 16-04-2022**

ملخص البحث:

تتناولُ هذه الدِّراسةُ الإجابةَ عن سؤال مرْكزيٍّ وهو: ما موقعُ الحكمة النظريَّة وفلسفتِها في كتاب "إحصاء العلوم" للفيلسوف المسلم أبي نصرٍ الفارابي؟ وما غرضُه من تأليفه؟

فإن كانت الإجابة الأوَّليَّة تقول: إنَّ الغرض هو التأصيلُ لعلوم الحكمة إجمالًا ولمراتبه العلميَّة؛ فإنَّ الإجابة العميقةَ تقول: إنَّ الفارابي أراد أنْ يضعَ تصنيفًا لعلوم عصْرِه يرسم لنا صورةً لنوعِ المقاربةِ الفلسفيَّة والدِّراسة الخاصَّة للحكمة النَّظريَّة تحديدًا، ولتصنيف علومها كموضوع شغل الفلاسفةَ من خلال كتابه "إحصاء العلوم" الذي ترك مساحة واسعة للتعرُّف إلى ملامح أبستمولوجيا العلوم العربيَّة في العصر العبَّاسيِّ الأول.

ويهدفُ هذا البحثُ تحديدًا إلى التأكيدِ على خصوصيَّة إحصاءِ الفارابي للعلوم وتصنيفِها ضمن مدوَّنتِه الفلسفيَّة، وعلاقتها بتأصيله المعرفي كإسلاميَّةٍ هادفةٍ، وإبرازِ مفهوم الحكمة النَّظرية من خلال كتاب إحصاء العلوم، والتقصِّي لعلاقتها بالمنطق الفلسفيِّ لدى الفارابي.

وقد خَلُص هذا البحثُ لنتائجَ من أهمِّها مكانةُ كتاب "إحصاء العلوم" وآثارُه، والذي ترك مساحة واسعةً للتعرُّف إلى ملامح إبستمولوجيا العلوم العربيَّة، وخاصَّة ما ركَّز عليه من الحكمة النظريَّة، وفي المقابل إنَّ جوْهرَ فلسفة العلوم وتصنيفَها محاولةٌ في رسم حدود العلوم ومجال العقل في مستويَيْهِ : النَّظريِّ والعَمليِّ.

الكلمات الدالة: العلومُ، الحكمة النَّظريَّةُ، المعرفةُ، الإبستمولوجيا، علمُ التَّعاليم.

(1) كليَّة الآداب - جامعة الملك فيصل (الأحساء - المملكة العربية السعودية)

hani077@hotmail.com

إشكاليَّةُ البحثِ

يُمكنُ أنْ نحدِّد تساؤلات الدِّراسة في السؤال التالي: ما طبيعةُ الحكمة النظريَّة عند الفارابيِّ في كتابه "إحصاء العلوم"؟ وما الغرضُ منه ؟ ولماذا ركَّز على علوم الحكمة وتصنيفِ العلوم؟ وما القيمة المنهجية لهذا المُصنَّفِ، وعلاقتُها بمطلب السَّعادة بوصفها غايةَ المشروع الفلسفيِّ الفارابيِّ إجمالًا؟

أهميةُ الدِّراسةِ

لا شكَّ أنَّ الدِّراسةَ الخاصَّة بالحكمة النظريَّة مِحْورٌ مُهمٌّ ظهر من بدايات الفلسفة عمومًا، والفلسفة الحديثة خصوصًا، وكيفيَّة معالجة المفاهيمِ وطبيعتها وأبعادها في سياقِ الرؤيةِ الفلسفيَّة عمومًا والفلسفةِ الإسلاميَّة خصوصًا، وهو أمرٌ في غايةٍ من الأهميَّةِ؛ وذلك لارتباطِ علوم الحكمة النظريَّة بالواقع الإنسانيِّ الراهنِ مِن جهةٍ، وموقفِ الفكر الإنسانيِّ من حقيقةِ الفلسفة وأهمِّيَّتها مِنْ جهةٍ أخرى، وتاريخ تصنيف العلوم.

أهدافُ الدراسةِ

وتتلخَّصُ أهدافُ هذه الدِّراسةِ في الآتي:

1. التأكيدُ على خصُوصيَّة إحصاء الفارابيِّ للعلوم وتصنيفها ضمن مدوَّنته الفلسفيَّة، وعلاقتها بتأصيله لإبستمولوجيا إسلامية هادفة.
2. إبرازُ مفهوم الحكمة النَّظريَّة من خلال كتاب إحصاء العلوم، والتقصِّي لعلاقتها بالمنطقِ الفلسفيِّ لدى الفارابيِّ.
3. الوقوفُ على ما يستلزم إحصاءً لمُجْملِ العلوم والصِّناعات وطبيعة مواضيعها والغرض منها، والمهمّة المنوطة بعُهْدة الفارابيِّ من خلال إنجازه لرسمٍ تخطيطيٍّ يتمّ وَفْقَه إنتاجُ العلوم وترتيبُها.
4. تسليطُ الضَّوْءِ على أهميَّة علوم الحكمة النظريَّة تحديدًا، وخاصَّة المراجعات التي قام بها الفارابيُّ.

منْهَجُ البحثِ

يقتضي التحقُّقُ من صحَّة الفروض العلميَّة لهذه الدراسة إجراءَ دراسةٍ تحليليةٍ لطبيعة ما اختاره الفارابيُّ من العلوم وخاصَّة ما يتعلَّق بالحكمة النظريَّة، والغرض والفائدة منها وأهمِّيتها، وتتبُّع علاقتها بعلوم الحكمة إجمالًا، وبالمقابل ما ألَّفه من إنتاجاتٍ معرفيَّةٍ ونصوصٍ فلسفيَّةٍ أخرى.

الدراسات السابقة

بعد البحث في قواعد الأبحاث ومحركات البحث وفهارس الجامعات لم أجد رسالة سابقة في هذا الموضوع نفسه.

تقسيم البحثِ

يأتي البحثُ في مقدمةٍ وتمهيدٍ ومبحثيْنِ وخاتمةٍ:

المقدمةُ: وفيها أهميةُ البحثِ وأهدافُه ومنهجُه.

التمهيد: وفيه عرضٌ للإشْكال وفرضيَّاتِه وشروطِ معالجتِه.

المبحثُ الأوَّل: الفارابيُّ حياتُه وفلسفتُه، ومصنَّفاتُه، وطبيعة تصنيفِه للعلوم.

وفيه مطْلبانِ:

الأوَّلُ: حياةُ الفارابيِّ وفلسفتُه ومصنَّفاتُه.

الثاني: تصنيفُ العلوم وعلاقتها بعلوم الحكمة.

المبحثُ الثاني: علومُ الحكمة النظريَّة وعلاقتُها بالبحثِ الإبستمولوجي.

وفيه مطلبان:

الأوَّلُ: علومُ الحكمةِ النَّظريَّة.

الثاني: القيمة الإبستمولوجية "العلاقة بين العلوم".

الخاتمةُ والنتائجُ.

التمهيدُ

تأتي أهميَّةُ البحثِ في علوم الحكمةِ عمومًا، والبحثِ في النظريَّة منها، وعلاقتها بالتفكير الفلسفيِّ والعلوم من أهمِّ مَحاورِ الدرس الفلسفيِّ؛ إذ تعدَّدتْ مفاهيمُه عند الفلاسفةِ أنفسِهم، وشكَّل مفهومًا يتمَحْورُ حول البحثِ العقليِّ الحرِّ المستقلِّ في قضايا الوجود والمعرفةِ والقِيَم، وهو في حقيقته يُمثِّل اهتمامًا بالبحث في حقل الفكر الفلسفيِّ وعملياتِه العقليَّة.

وتأتي أهميتُه من حاجةِ الإنسان إذا أراد أن يتعلَّمَ علمًا من هذه العلومِ وينظرَ فيه أنْ يعلم على ماذا يُقْدِم، وفيم ينْظُرُ، وأيُّ شيء سيفيدُ بنظرِه وما غِناءُ ذلك وأيُّ فضيلةٍ تُنالُ

بـه؛ ليكـونَ إقدامُـه علـى مـا يُقْدِمُ عليـه مـن العلـوم علـى معرفـة وبصيـرةٍ، كمـا يأتـي مـن نمـاذج هـذا الاهتمـام مـا وضعـه الفارابـيُّ فـي كتابـه النفيـس "إحصـاء العلـوم" ليكـونَ مجـالًا للتأريـخ لهـذه العلـوم، وبيـانِ منزلـةِ الحكمـة والحكمـاء وحفـظِ ذكرِهـم، وتدويـنِ مآثرِهـم الخُلقيَّـة، والتنويـهِ بمراتبِهـم العلميَّـة، ولأمـر كهـذا نفهـم وجاهـةَ تقْريـظِ "صـاعـد الأندلسـي" لهـذا المؤلَّـف، بقولـه: "ثـمّ لـه كتـابٌ شـريفٌ فـي إحصـاء العلـوم والتَّعريـفِ بأغراضِهـا لـم يُسْـبَقْ إليـه، ولا ذهـبَ أحـدٌ مذهبَـهُ فيـه، ولا يَسـتَغني طـلابُ العلـومِ كلِّهـا عـنِ الاهتـداء بِـه وتقديـمِ النَّظـرِ فيـه" (صاعـد بـن أحمـد، 1998، ص 52).

وعليـه لا غرابـة فـي شـيء أنْ يَحظـى هـذا الكتـابُ باهتمـام واسـع، اعتبـارًا بمـا ينْطـوي عليـه مـن مضاميـنَ معرفيَّـةٍ ومقاصِـدَ إبسـتمولوجيَّةٍ ذاتِ بـالٍ، جعلـت منـه أوَّلَ موسـوعةٍ علميَّـة أُلِّفـتْ آنـذاك وذاع صيتُهـا، لا فـي الأوسـاط العلميَّـة الإسـلاميَّة فحسـبُ، بـل كان لهـا امتداداتُهـا، حتَّـى فـي الآفـاق المدرسـيَّة النَّصرانيَّـة، التـي وقعَـتْ تحـتَ جاذبيَّـةِ هـذا المـدِّ العلمـيِّ ولـم تَسـلمْ مـن ذلـك الإغْـواءِ، الأمـرُ عينُـه ذهـب إليـه "عثمـان أميـن" فـي تقديمـه لإحصـاء العلـوم، (الفارابـي، 1994، عثمـان أميـن؛ محقِّـق)، مؤكّـدا بـدوْرِه علـى جملـة الفضائـل المترتِّبـة علـى ذلـك الكتـابِ فـي العالـم الإسـلاميِّ وخارجـه، والتـي تكْمُـن أساسًـا فـي طريقـة الترتيـب التـي تَوخَّاهـا المُعلِّـمُ الثانـي فـي تصنيفـه للعلـوم.

وقد ورد هذا الإحصاء وَفْقًا لتبويبٍ معيَّن يلائِمُ الارْتباط المنطقيَّ بين الموضُوعاتِ، ويتناسب مع نظريَّته العامَّة في تصنيف العلوم، التي أوْرَدها ضمنَ رسالة "التنبيه على سبيل السَّعادة"، إذْ منْ شأنِ هذا التَّصنيف أنْ يعيَّن العلم الذي سوف يتكفَّل بمهمَّة تحصيل السَّعادة، وكذلك منزلته بين العلوم الأخرى وهو ما يستلزم إحصاءً لمُجملِ العلوم والصِّناعاتِ من أجل الوقوفِ على موضوع كلٍّ منها، وكذلك على السبيل الذي سوف يؤدِّي غرضَ وغايةَ كلِّ علم على حِدَةٍ. وهذه هي المهمَّة المنُوطةُ بعُهدة الفارابي من خلال إنْجازه لرسم تخطيطيٍّ يتمُّ وَفْقَهُ إنتاجُ وترتيبُ العلوم.

ومِنْ نافلةِ القول، الإشارةُ إلى أنَّ إحصاءَ العلوم والصِّناعات لدى الفارابي لا ينْحصرُ في مؤلَّفِ "الإحصاء" فقط، بل في أعماله الأخرى، نخصُّ بالذكر منْها: "تحصيل السَّعادة"، "آراء أهل المدينة الفاضلة"، "كتاب الحروف"، "كتاب المِلَّة"، "السياسة المدنيَّة" و"الألفاظ المستعملة في صناعة المنطق" وغيرها، ولنا في ذلك كلِّه وِقْفَةُ تأمُّلٍ لاحقًا، لنتبيَّنَ من خلالها تجليَّات المعرفة للعلوم العربيَّة وأبعادها، وسوف نُركِّز على الحكمة النظريَّة ومفهومِها لديه، من خلال كتابه إحصاء العلوم كما تبلْورَت لدى الفارابيِّ.

المقدِّمةُ:

لعلَّ عرْضَ ماهيَّةِ علوم الحكمة النظريَّة وتصنيفها ثمَّ القيمة الإبستمولوجية أي "العلاقة بين العلوم" تدعونا منهجيًّا إلى طرح الإشكاليَّة التالية:

على أيّ نحو رتّب الفارابيُّ العلوم والصِّناعات في مستوى مدوَّنتِه الفلسفيَّة؟ وما طبيعة اهتمامه بعلوم الحكمة وبالحكمة النظريَّة وأهميتها عنده؟ وأيَّةُ علاقة بين المنطق الفلسفيِّ والعلوم التي اهتمَّ بها في كتابه ضمن الأبستمولوجيا الفارابيَّة؟ وسنعتمد في تفصيلِنا للقول المُمكن بخصوص إبستمولوجيا العلوم العربيَّة لدى الفارابيِّ على نظام البرهنة بالتالي:

في المبحثِ الأوَّل: سنُحاولُ التَّركيزَ -بعد عرض ترجمة الفارابيِّ- على بحثِ خصوصيَّة إحصاء الفارابيِّ للعلوم وتصنيفها ضمن مدوَّنته الفلسفيَّة، وعلاقة ذلك بتأصيله المعرفي لفلسفة عربيَّةٍ هادفةٍ.

أمَّا في المبحث الثاني: فسيكونُ النَّظر في علاقة الحكمة النظريَّة بفلسفته ومُصَنَّفاته، وما ارتبط بهما من إعضالاتٍ إشكاليَّةٍ، أساسُها جدليَّةُ التباعد والتقارب، حيث ركَّزْنا على المراجعات المنهجية التي قام بها الفارابيُّ بخصوص هذه المسألة، ومع ذلك فإنّه يبقى من الضَّروريِّ في نهاية هذا العمل البحث في فعل التناسب بين الابستمولوجيا الفارابيَّة ومطلَب السَّعادة، بوصفها غايةَ المشروع الفلسفيِّ الفارابيِّ لديه.

ولقَدْ حاولْنا في هذا العملِ أنْ نستقرئَ التَّالي:

أولًا- مفهوم الإبستمولوجيا؛ من خلال توقُّفِنا عند إحصاءِ العلوم والصِّناعات أوّلًا، وتَقصِّينا لأوجه العلاقات الممكنة بين علوم الحكمة التي حرَصَ الفارابيُّ عليها، وأهمِّية الفكر والمنطق الفلسفيِّ لديه.

ثانيًا- من هذا المنطلق يرى الباحثُ أنَّ الفارابيَّ قد توخَّى في فلسفته أسلوبَ الرَّبط بين النواحي النظريَّة والعمليَّة وجاءت فلسفتُه متميَّزةً بالتسلسل المنْطقيِّ والتدرُّج الواضحِ والدِّقَّة والترابط الصَّارمين، حتى إنّك لَتُلاحظُ التماسكَ الوثيقَ بين جميع أجزاء فلسفتِه ممّا يُسوِّغ لنا الإقرارَ بأنَّ فلسفة الفارابيِّ على غايةٍ من الانتظام والاتِّساق المنهجيِّ، خاصَّة وهو يُعدُّ أوَّلَ من بنى نظريَّة متكاملةً في المعرفة وذلك في كثير من كتبه الفلسفيَّة والمنطقيَّة حتى سُمِّي عالميًّا بـ "المُعَلِّم الثاني"؛ لذا قصد الفارابيُّ من كتابه إحصاء العلوم المشهورة والتي برزتْ خاصَّةً في عصره، والتي يستطيع الإنسانُ أن يقيسَ ويفارقَ بين العلوم ومدى اتِّساقها وتوْأمَتِها، ثم أثرها وبعدها المقارنة بين الأقوى والأوثق وكيفية الانتفاع بها، وخاصة ما ينشُدُ السعادة العقليَّة والمعرفة الفلسفيَّة والتي تُوفِّر أعلى أنواع السعادة. (الفارابي، 1996، علي بو ملحم؛ محقق).

المبحثُ الأوَّلُ: الفارابيُّ حياتُه وفلسفتُه ومصنَّفاتُه، ومنهجُه

المطلبُ الأوَّلُ: حياةُ الفارابيِّ ومصنَّفاتُه

التمهيدٌ:

لن نُسْهبَ في عرض سيرة الفارابيِّ وتاريخ عصره، ولكن سيكون اهتمامُنا حول حياته وفلسفته؛ إذ إنَّ المراجع ولو اتَّفقت على أصوله التُّركيَّةِ إلَّا أنَّ "فاراب" منسوبةٌ في ترجمة ابنِ النَّديم إلى فاراب من أعمال خراسان، وأنَّ المصادر بمجموعها تؤكِّد رحلتَه إلى بغداد وتلقِّيه العلومَ بها وعلى يد علمائها وكان منهم ابنُ يونسَ المتوفَّى 328 هـ وكان مسيحيًّا ومن مترجمي كتب المنطق، ثم اتَّصل بيُوحنَّا بن حيلان 244هـ. (الفارابي، 1985، رفيق العجم؛ محقق)

لذا تعدَّدت التراجمُ للفيلسوف الفارابيِّ وكثُرت، فقد ترجم له الكثير أمثال ابن خَلِّكانَ في "وفَيَاتُ الأعيانِ"، وصاعدٍ الأندلسيِّ في كتاب "طبقات الأمم"، وابن العماد في شَذَرَاته، ويرى الباحثُ أنَّ الترجمة التي ذكرها ظهير الدين البيهقيُّ في كتابه "تاريخ حكماء الإسلام"(1) من أهمِّ تلك الترجمات، والتي تناول فيها الفارابيَّ مترجِمًا له قائلاً: "إنَّ الحكماء أربعة: اثنان قبل الإسلام وهما أرسطو وأبقراط، واثنان في الإسلام وهما أبو نصر وأبو علي". (البيهقي، 1946، ص 30)، ثم ذكر منها على لسان الفارابيِّ (البيهقي، 1946، ص 30) ما ينبغي أن يتوفَّر فيمن يريدُ الشروع في علم الحكمة، وكيف تكون سيرتُه إنْ بلغ الغاية القصوى في الحكمة، إذ "الحكمة"(2) بمعناها الواسع لدى الفلاسفة(3).

---

(1) يجد الباحث أن الحكيم البيهقي شغلته الحكمة من كل جوانبها، واحتضنته فنونها، فاختار لكتابه القيِّم اسما يستحق التأمل والتوقف؛ "تاريخ حكماء الإسلام"، ولم يقل: "تاريخ فلاسفة الإسلام".

(2) في العصر اليوناني القديم الحكمة مرادفة للفلسفة، وهي صناعة نظر، يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما عليه الواجب مما ينبغي عليه الواجب، مما ينبغي أن يكسبه فعله لتشرف بذلك نفسه، وتستكمل وتصير عالما معقولًا مضاهيًا للعالم الموجود، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية. (ابن سينا، 1980، ص 104). والحكمة تعلم حقائق الأشياء، والله تعالى يقول: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [البقرة:269].

(3) الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية، وهي فيلاسوفيا، وتفسيرها محبة الحكمة، فلما عرّبت قيل فيلسوف، ثم اشتقت الفلسفة منه، ومعناها علم حقائق الأشياء والعمل بها بما هو أصلح، تتناول أبعادًا وتصورات عميقة، وليست مختصة بمعنى واحد. ونقل البيهقي في ترجمة أبي الفتح يحيى بن علي البستي قوله:

ونقل تعريف الجرجاني قوله: "التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق -صلى الله عليه وسلم- في قوله: **"تخلقوا بأخلاق الله"**.." الحديث، أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات». (الجرجاني، 1983 ، ص 75)، ونقل البيهقي عن محمد اليلاقي قوله: "الفلسفة علم الكل، وصناعة الصناعات».

كما نقل البيهقيُّ قول الفارابيِّ في الحكمة قائلًا: "ينبغي لمن أراد الشُّروعَ في الحكمة أنْ يكونَ شابًّا صحيح المزاج، متأدِّبًا بآداب الأخيار، قد تعلَّم القرآن واللغة وعلمَ الشَّرع أوَّلًا، ويكون صينا عفيفًا صدوقًا، معرضًا عن الفسقِ والفُجور والغدْرِ والخيانة والمكر والحِيلة، وأن يكونَ فارغَ البال من مصالح معاشه، مقبلًا على أداء الوظائف الشرعية، غير مُخِلٍّ بأركانها، ولا مُخِلٍّ بآداب السُّنَّةِ". (البيهقي، 1946، ص 30).

كما ترجم له من المعاصرين د. عبد الرحمن بدوي في موسوعتِه فقال: "ثاني فيلسوف ذي شأن في الفلسفة الإسلاميَّة والملقَّب بالمعلِّم الثاني في مقابل أرسطوطاليس الملقَّبِ بالمعلم الأوَّلِ". (بدوي، 1984، ص93).

أوَّلًا- حياتُه وفلسفتُه[1]

الفارابيُّ، أبو نصر محمد ibaraF lA (870 م تقريبًا) 950-)، الملقب بـ "المعلم الثاني" في مقابل أرسطوطاليس الملقب بـ "المعلم الأول". وُلدَ في فارابَ (التي استمدَّ منها اسمَه) في تُركستان، وتوفِّي في دمَشقَ، وهو يُعدُّ من أعظم فلاسفة العرب. درس في بغداد وحرَّانَ، ثم أقام في حلبَ في بلاط سيف الدولة الحمْدانيِّ. لُقِّبَ بالمعلم الثاني، على أساس أنَّ المعلمَ الأوَّلَ في ذلك العصر كان هو "أرسطو" ، وكان الفارابيُّ ضليعًا في الرِّياضيَّات والموسيقى، ومن مؤلفاته "الجمع بين رأى الحكيمين"، وقد حاول فيه أن يُوفِّقَ بيْنَ آراء فيلسوفَي اليونان أفلاطون وأرسطو، وكانت محاولتُه الرئيسةُ عمومًا التوفيق بين تعاليم الإسلام والفلسفة اليونانية، وخاصة فلسفة أفلاطون وأرسطو، مستعينًا في ذلك بالمنهج العقليِّ وحده.

وأبو نصر الفارابيُّ تُركيُّ العُنصُرِ والبيئة كما يرى الباحثُ - مع تباين الآراء - فقد كان أبوه قائدًا تركيًّا فيما يروي بعضُ المؤرِّخين، ووُلِدَ أبو نصر بمدينة وسيجَ، إحدى مدن فارابَ، وفارابُ - أو بارابُ كما تُنطَقُ في لهجتها الأصلية - ولايةٌ في حوض سيرداريا، دخلها الإسلام في عصر السَّامانيِّين بعد أن غزا نوح بن أزد مدينة أسبجابَ سنةَ 225 هـ (839 أو 840 م)، أي قبل مولد الفارابي بقُرابة ثلاثين سنةً[2].

اتَّقِ الله والزَمْ عُرَى دينِهِ * وبَعْدَهُمَا فَاعْرِفِ الفَلسَفَهْ
ودَعْ عنْكَ قَوْمًا يعيبونهـــا * ففلسَفة المَرءِ فل السفـــــه

(1) راجع عنها: القفطي ص 277؛ البيهقي: "تتمة صوان الحكمة" (ص 16 - 20) ؛ ابن خلكان (ج4 ص -239 243)؛ الصفدي، (ص106 - 112)؛ صاعد بن أحمد الأندلسي: "طبقات الأمم" (ص 85)؛ ابن أبي أصيبعة (ج2/ ص -134 145)؛ ابن العماد (ج2/ ص350 – 354).

(2) وهي منطقة سبخة، ولكنَّ فيها غياضًا ومزارعَ في غربي الوادي، ولها منعة وبأس. أما مدينة وسيج فعلى الشاطئ الغربي من سيرداريا، على مسافة فرسخين جنوبي كدر، عاصمة هذا الإقليم الذي تسكنه قبائل تركية

ويُكملُ بدوي قوله: "ويغلِبُ على الظنِّ أنَّ الفارابيَّ قد طرقَ أبواب مدرسة حرَّانَ أوَّلًا، فتلقى أطرافًا من علوم الأوائل على يد شخصية لا يزال الغموض يحيطُ بها، هي شخصية يوحنَّا بن حيلان، وقد كان ذا قدم راسخة في المنطق، فقرأ عليه الفارابي من المنطق حتى آخر البرهان. ثم ارتحل الفارابي إلى بغداد. ولعله ارتحل مع رؤساء مدرسة حرَّانَ، الذين انتقل جمعُهم إلى بغدادَ في خلافة المعتضد (التي استمرَّت من سنةِ 279 ه/ 892 م، إلى سنةِ 289 / 902 م)، وفي بغداد أمَّ خصوصًا حلقةَ أبي بشر متَّى بن يونس؛ الذي احتلَّ مركزَ الصدارة في دراسة المنطقِ آنذاك، وكان واسعَ الاطِّلاع على فلسفة أرسطو، كما كان مترجمًا غزير الإنتاج، وإن كان سَقيمَ العبارة، ممَّا سيكون له أثره في عبارة الفارابيِّ.

وربما يتَّضحُ أنَّ الفارابيَّ لم يكنْ ملحوظَ المكانة في بغداد بالرَّغم من مهارته في العلوم الحِكميَّة وتفوُّقه على أستاذه أبي بشر، لأننا لا نجد فيما بين أيدينا من الوثائق التاريخيَّة ما عساه أنْ يكشف عن هذه المكانة.

والقصة التي رواها البيهقيُّ في "تتمة صوان الحكمة" - الذي نشره كرد علي بعنوان: "تاريخ حكماء الإسلام"، دمشق، سنة 1946، (ص 32 - 33) - عمَّا حدث بينه وبينَ الصَّاحبِ بن عبَّاد قصةٌ زائفة خلط فيها بين شخصية ابن عبَّاد وشخصية سيف الدولة الحمدانيِّ.

ولعلَّ عدمَ بُروزِ مكانته في بغداد هو الذي حمله على الانتقال عنها إلى بلاط سيف الدولة في حلبَ، حيث كان هذا الأمير يرعى صفوةً من أهل الأدب والعلم، وكان ارتحال الفارابيِّ إلى حلبَ في سنة 330 ه (سبتمبر سنة 1942 م). وظل يتنقل بين حلبَ ودمشق، ويطيلُ المقام في دمشق حيث الرياض الزاهرة والبساتين العاطرة والينابيع المتدفِّقة، وقد كان هذا خير إطار لمزاج الفارابيِّ. (بدوي، 1984، ص94)

ويبدو من بعض الأخبار أنَّه وردَ مصرَ وأقام بها زمنًا، إذْ يروي ابنُ خَلِّكانَ أنَّ الفارابيَّ ذكر في كتابه الموسوم بـ "السياسة المدنية" أنه ابتدأ تأليفَه في بغداد وأكمله بمصر. (ابن خلكان، 1948، ج4 / ص 240)

وفي تعليقةٍ خاصةٍ بكتاب "المدينة الفاضلة" خبرٌ يقول: إنَّ بعضَ الناس سأله أنْ يجعلَ لهذا الكتاب "فصولًا تدلُّ على قسمة معاينة، فعمل الفصول بمصرَ". وهذا يقطع بأن الفارابيَّ أقام بمصر حينًا، وأنه كتب فيها صفحات من مؤلَّفاته.

من أجناس الغزية والخزلجية، وعن هذه البيئة ارتحل الفارابي في سنٍّ ناضجة، انتجاعًا لمواطن الثقافة في ذلك العهد وأشهرها في ذلك الحين موضعان: حران (في الجنوب الشرقي من تركيا الآن)، التي انتقلت إليها مدرسة الإسكندرية بعد أن مكثت قرابة مائة وأربعين سنة في أنطاكية، وكان ذلك في خلافة المتوكل التي استمرت من سنة 232 هـ (847 م) إلى سنة 247 هـ (861 م)، فأصبحت حران بذلك وريثة الثقافة اليونانية؛ وإن لم تستمر بها الدراسة أكثر من أربعين سنة، فقد تخرج فيها - برغم ذلك - نفر ممتاز صاروا أساتذة العلوم اليونانية في بغداد، التي طوت في داخلها معاهد الثقافة الكبرى في ذلك العهد. (بدوي، 1984، ص94).

وعليه يتبيَّنُ للباحثِ في تكوينِه الاجتِماعيِّ والفلسفيِّ أمورٌ:

1. استفادةُ الفارابيِّ من علماءِ عصره بجميع أديانِهم ومناهجهم ممَّا فتح له أُفُقًا على الفكر اليوناني واللغات في عصره.
2. تلقِّيه العلومَ الإسلاميَّة والعربيَّة في بغداد التي صَبغتْ فكرَه ونشأتَه وفلسفتَه.
3. حرصُه على تعلُّم العلوم التي عاصرت العهد العباسي، وكان من أهمِّها علومِ المنطق والفلسفة والفلك والرِّياضيَّات والموسيقى.
4. معايشتُه للظُّروف السياسيَّة التي كانت في بداية سقوط القُوَّة العباسيَّة والتي اتَّسمتْ بالحِجَاج العقليِّ ونضُوجِ حركة التَّرجمة وظهور حركات التشيُّعِ.

ثانيًا- تصانيفُه

للفيلسوفِ الفارابيِّ تصانيفُ كثيرةٌ من أهمِّها: "رسالة فصوص الحكم"، و"السياسة المدنية"، و"كتاب الموسيقى الكبير"، و"أراء أهل المدينة الفاضلة"؛ الذي ضمَّنه آراءَه في المجتمع الأفضل على النحو الذي فعله أفلاطون في "الجمهورية". وأكثرُها موجودٌ بالشام، وما يوجد منها بخراسان: "المختصر الأوسط" في المنطق، و"المختصر"، و"الموجز"، وكتاب "البرهان"، وجوامع كتب المنطق، وآراء المدينة الفاضلة، والتعليقات، وشرح كتب أرسطو، وشرح أوقليدس في الموسيقى أربع مجلدات، وكتاب النفس، وكتاب التفسير، وطماناوس[1] ورسائلُ كثيرةٌ، وأكثر ما رأيتُه كان بخطِّه وخطِّ تلميذه أبي زكريا يحيى بن عديٍّ، ورأيت في كتاب "أخلاق الحكماء" أنَّ الصاحبَ الجليل إسماعيل ابن عبَّاد بن عباس بعث إلى أبي نصرٍ هدايا وَصِلاتٍ[2] واستحضره واشتاقَ إلى ارتباطه، وأبو نصر يتعفَّفُ وينقبضُ ولا يقبل.

ويقول الدكتور ماهر عبد القادر عن ترجمة كتاب "إحصاء العلوم" للفارابيِّ بواسطة جيرارد الكريموني تحت رقم (80) من مترجَمات الكريموني، ما يلي:

منهجُ كتابِ الإحصَاء وأهمُّ ملامحِه الخاصَّة:

حظِيَ كتاب "الإحصاء" بعناية فائقةٍ من الغربيين وبصفة خاصة إبَّانَ حركة الترجمة

(1) الأقرب أن يكون طيماناوس أستاذ سقراط، ففي جريدة كتبه ذكر لهذا الكتاب.

(2) في المجلد 12 (ص 387 – 397) من مجلد المجمع العلمي العربي بحث في الفارابي للأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق جاء فيه: أن البيهقي غلط في ترجمة الفارابي بقوله أن الصاحب بعث إلى أبي نصر هدايا وصلات واستدعاه إليه وأنه دخل مجلسه متنكرًا. قال عبد الرازق: "والصاحب إسماعيل بن عبَّاد ولد في 326 هـ فهو عند موت الفارابي كان صبيًّا لم يجاوز 13 عامًا".

في موْجتِها الأولى، وفي كتابه "إحصاء العلوم" قسَّم الفارابي العلوم إلى ثماني مجموعاتٍ، ثم ذكر فروعَ كلِّ مجموعة، وموضوعَ كلِّ فرع منها، وأغراضَه، وفوائدَه[1]، وقد ترجم جيرار الكريموني هذا الكتاب إلى اللاتينية. وقد ناقش الدكتور عثمان أمين مكانة كتاب "إحصاء العلوم" عند الغرب، ويذهب في ذلك إلى أنَّ هذا الكتاب تُرجِم إلى اللغة اللاتينية غيرَ مرَّةٍ إبَّانَ القرن الثاني عشر الميلاديِّ ، وأهمُّ هذه الترجمات ترجمتان؛ إحداهما منسوبةٌ إلى دومينكوس غنديسالينوس sunilassidnuG sucinimoD، وقد نشرها كاميراريوس suiraremaC ، لكنَّ الدكتور عثمان أمين يتحفَّظ على هذه الترجمة بقوله: "ولكن هذه الترجمة ليست كاملة ولا وافية، فقد حذف غنديسالينوس بعض فصول الكتاب (كالفصل الذى عقده الفارابي في علم الكلام) وتصرَّف في بعض المواضع بالحذف والاختصار". (الفارابي، 1968، عثمان أمين؛ محقق، ص 8)

أمَّا الترجمةُ الثانية فمنسوبةٌ إلى جيرار دى كريمونا anomerC ed drareG، وهى ترجمة كاملة دقيقة مطابقة للنصِّ العربيِّ للكتاب"[2].

(1) وضع الفارابي تصنيفًا للعلوم في كتابه "إحصاء العلوم" وترتيبها والتعريف بأغراضها، ومعظم كتب الفارابي ورسائله وشروحه مفقودة، وبعضها لا يوجد إلا في ترجمات عبرية، ومن كتبه "المدينة الفاضلة"، "تحصيل السعادة"، "سياسة المدينة"، "أصل العلوم". ومن أهمِّ رسائله في علوم الحياة: "علم النفس"، "الحكمة"، "فصوص الحكمة"، "أسماء العقل". ولعلَّ من أهم كتبه: "الموسيقى الكبير"، وله في الموسيقى أيضًا كتبٌ، منها: "المدخل إلى صناعة الموسيقى"، "الموسيقى". وله في الفيزياء: "المقالات الرفيعة في أصول علم الطبيعة".

(2) يذكر الدكتور عثمان أمين في الهامش ملاحظتيْنِ في غاية الأهمّية: أمَّا الأولى فيقول فيها تعليقًا على الترجمتين: "وقد نشر الأستاذ بلانسيه هاتين الترجمتين اللاتينيتين من النص العربي في مجلد واحد ظهر ضمن مطبوعات كلية الفلسفة والآداب بجامعة مدريد سنة 1932 . وأما الملاحظة الثانية فيقول فيها " قابلت ترجمة دى كريمونا بالنص العربى فوجدتها مطابقة لنسخة الإحصاء الموجودة بمكتبة الاسكوريال (أسبانيا) "، كما ويذكر الدكتور عثمان أمين أن إحصاء العلوم كان معروفا أيضا فى المدارس اليهودية: "فقد انتفع به موسى بن عزرا (المتوفى سنة 1140م)، وقد وجدت للكتاب ترجمة عبرية مختصرة بقلم (كالونيموس كالينموس (المتوفى سنة 1328م) . وتحتفظ المكتبة الوطنية فى باريس بالنص اللاتينى الذى نقله جيرارد الكريمونى فى المخطوط رقم 9335 وعنوانه اللاتينى:

Translature a magistro Girardo- ،Liber Al-Farabi de Scientiis-
. Cremonensi . in Toledo, de arabico in latinum

والترجمة اللاتينية التي عملها الكريمونى صحيحة ومطابقة لكل من المخطوطتين العربيتين الموجودتين فى الإسكوريال والنجف بالعراق، ونظرًا لأهمية كتاب «إحصاء العلوم» للفارابى فقد قام أنجيل بلانسيه Angel Palencia بنقل الترجمة اللاتينية إلى اللغة الأسبانية، وأصدرها معهد الدراسات العربية فى مدريد باللغات: العربية، اللاتينية، الأسبانية عام 1953. كما ترجم الكتاب أيضًا إلى اللغة العبرية كما ذكر الدكتور عثمان أمين، على حين لم يذكر لنا اشتاينشنيدر مترجمه إلى اللغة العبرانية، ولكن عثمان أمين كشف عن ذلك. (الفارابي، 1968، عثمان أمين؛ محقق، ص 128 - 130).

أهمُّ ملامحِ كتابِ الإحْصاءِ:

تُوزَّعُ فلسفةُ الفيلسوفِ عادةً على مجالات الفلسفة كلِّها نظريًّا وعمليًّا هو في حقيقتِه تَوزُّعٌ وتنوُّعٌ يُصعِّبُ على قارئ الفلسفة غيرِ العارف بها الإحاطةَ بها، مثلما يصعب على قارئ الفلسفة الإحاطة بها أيضًا خاصة إذا كان الفيلسوف صاحبَ نظريَّة متكاملة في الفلسفة والعلم، لأجل هذا يسعى الفيلسوف إلى تقديم رؤية نسقيَّة لفلسفته في كتاب يراه جامعًا لعناصرها موضوعًا ومنهجًا.

وهذا هو حال كتاب "إحصاء العلوم" للفارابيِّ الذي تمكَّنَ منْ وضعِه على مِنْوالٍ نسقيٍّ تعليميٍّ دقيق وعميق، نظم فيها العلوم من حيث تراتُبُها من جهة، ومن حيث علاقاتُها من جهة ثانيةٍ، ومن حيث صلتُها بالحكمة النظريَّة أوَّلًا والحكمة العملية ثانيًا، فالعلوم جميعها تأخذ معناها عندما تكون داخلَ نسق فلسفيٍّ متماسك ونفقد ذلك المعنى عندما تكون متفرقةً في تخصصاتِها المستقلَّةِ.

ولعلَّ الباحثَ يُشيرُ إلى أهمِّ الملامحِ المهمَّة للكتابِ:

1. إنَّ "إحصاء العلوم" يؤكِّد للقارئ قيمةَ العلاقة العضويَّة بين أرقَى مسألة في الفلسفة النظريَّة أي باب الإلهيَّات، وأدنى مسألة من مسائل الفلسفة العمليَّة والإنتاجيَّة بشكل خاصٍّ، أي الشعر والفن مثلًا، وما يوجد بينهما من علوم متعدِّدة مشتقَّةٍ من العلوم النظرية، مثل الموسيقى باعتبارها فرعًا من الرياضيِّاتِ أو الطبيعيَّات والفلك أو علم التعاليم وصولًا إلى علوم النفس البشريَّة وعلاقتِها بنظامِ الجسدِ واتِّحادهما في بناء المعرفة من عالم الحواسِّ إلى عالم الإشراقِ حيث يعملُ العقلُ المستفادُ ويرقى.

2. يُبْرزُ وحدةَ الإنسانِ المحبِّ للحكمة الإلهيَّة كيف يسيرُ في طريقها تحقيقًا للسَّعادة وتحصيلًا لها وَفْقَ سياق التوازُن بين النَّفس والجسد من جهةٍ، والنظر والعمل من جهةٍ أخرى.

3. أنَّ كتاب "إحصاء العلوم" له وجهٌ معرفيٌّ يكشفُ لنا النِّظامَ المعرفيَّ عند الفارابيِّ، وكيف تحصل عليه النفسُ الناطقةُ، وله وجه عمليٌّ يربط المعرفةَ والسُّلوك بنمطِ وجود الإنسان في الحياة في سياق تحصيل السعادة.

4. أنَّ مركزَ ثقل الفلسفة عند الفارابي هو الإنسان، وغايتُها هي السعادةُ، وأداتُها هي العلوم، وفي هذا تأتي شرعيَّة وجود كتاب اسمه "إحصاء العلوم".

ولعلَّ هذا يسوقنا للحديث عن تأريخ العلوم التي اعتنى بها الفارابيُّ عندما بلغت الحضارة العربيَّة أوْجَ نضجِها وازدهارِها، وبدأتْ تؤتي ثمارَها في القرنيْنِ السابقيْنِ، وترجمت الكتب العلميَّة والفلسفيَّة إلى اللغة العربيَّة، عن اليونانيَّة والسريانيَّة والفارسيَّة والهنديَّة، سُمِّيت العلوم التي تُرجمت بـ"العلوم الدخيلة"؛ لأن العرب لم يعرفوها من قبل، وهي علوم الهندسة والحساب والفلك والموسيقى والطبيعة والطب والفلسفة والمنطق، وسرعان ما شرع العربُ في تصنيف الكتبِ في مختلف العلوم

الدَّخيلة والأصيلة في القرن التاسع للميلاد، فلما جاء القرن العاشر ألفى الفارابي بين يديه المؤلفات المتنوِّعة والعديدة العلميَّة والفلسفيَّة والفنِّيَّة.

منْ هُنا يرى الباحثُ أنَّ للفارابيِّ غاياتٍ من تأليفِ هذا الكتاب نوجزُها بالآتي:

الأوَّلُ: الاستقلاليَّةُ الفكريَّة والبحثيَّةُ والنقديَّةُ لطبيعة الفلسفة اليونانيَّة وما تميزَتْ به الفلسفة العربية، فالإحصاء يقتضي وجودَ موضوعِه، وتنوُّعه وكثرتِه وثرائِه؛ لأنَّ ما هو قليل ومحصور لا يتطلَّب عمليَّة الإحصاء.

الثاني: بيانُ العلوم التي شكَّلتْ أثرًا واهتمامًا في عصره والتعريف بها من وجهة نظره الفلسفية، فالفارابيُّ لم يُحصِ جميعَ الكتب التي كانت رائجةً في عصره، وإنما اكتفى بتَعداد العلوم والتعريف بها تعريفًا مُقتضبًا.

والرجل الذي اضطلع بهذه المهمّةِ الصَّعبة والرائدة والأكثر نفعًا هو ابنُ النَّدِيم (ت 385 هـ) الذي عاصر الفارابي وألف كتابه الشهير المعروف بـ "الفهرست"، ولا ندري إذا كان الفارابيُّ اطلع على كتاب "الفهرست" لابن النديم وأفاد منه، لأنَّه لم يُشِرْ إليه من قريبٍ أو بعيدٍ.

الثالث: بيانُ المقاربة الفلسفيَّة بينه وبين تأثُّرِه بالفيلسوف اليونانيِّ أرسطو، والذي حاز على إعجابه واقتفى أثرَه في معظم آرائِه الفلسفيَّة، كون أرسطو اهتمَّ بتصنيفِ العلوم فقسَّمها إلى نظريَّة وعمليَّة، وقسم النظرية إلى ثلاثةٍ هي: الطبيعة، والرياضية، والإلهيَّاتُ، أو العلم الإلهي كما سمَّاه في "الإحصاء"[1]، وقسم العملية إلى ثلاثة علوم أيضًا هي: علم الأخلاق، وعلم السياسة المدنيَّة، والفنُّ، كون أرسطو الأول فيمن وضع أسسًا لتصنيف العلوم لم يَبْن عليها الفارابيُّ إحصاءَهُ، بالإضافة أنَّ الفيلسوف اليونانيَّ لم يجعل المنطقَ أحدَ العلوم وإنَّما اعتبره آلةَ العلوم، أمَّا الفارابيُّ فقد أحصاه في جملةِ العلوم، وأسْهبَ فيه في كتب أخرى عدا الكتاب الذي بين أيدينا، منها كتاب "تحصيل السعادة"،

(1) وهو العلمُ الذي يفحَصُ الموجوداتِ التي ليستْ بأجسام ولا في أجسام، أي عن الموجودات المفارِقة للمادة، ويثبت وجودَها وكثرتها وتراتبها وإذا كان لم يسمِّها في هذا الكتاب فإنه سماها في كتب أخرى مثل: "آراء أهل المدينة الفاضلة"، و"السياسة المدنية"، أنها تشمل اللهَ، والعقولَ الثواني، والعقل الفعَّال، وعدا ذلك يفحص العلم الإلهيُّ عن موضوعيْنِ آخرين هما الموجودُ بما هو موجودٌ، أي الجوهرُ، ومبادئ العلوم النظريَّة الجزئيَّة كالمنطق، وعلم التعاليم، والعلم الطبيعي، وبهذا الكتاب يقدر الإنسان على أن يقيسَ بين العلوم، فيعلم أيها الأفضل وأيها أنفع وأيها أتقن وأوثق وأقوى وأيها أوهن وأوْهَى وأضعفُ، وينتفع به أيضًا في تكشف من ادَّعى البصر بعلم من هذه العلوم ولم يكن كذلك، فإنه إذا طولب بالإخبار عن جملة ما فيه وبإحصاء أجزائه وبجمل ما في كل جزء منه فلم يطلع بين كذب دعواه وتكشُّف تمويهه، ويتبين أيضًا فيمن يُحسنُ علمًا منها هل يُحسنُ جميعَه، أو بعض أجزائه، وكم مقدار ما يحسنه، وينتفع به المتأدبُ المتفنن الذي قصده أن يشدوَ جمل ما في كل علم ومن أحبَّ التشبُّه بأهل العلم ليُظَنَّ أنَّه منهم.

وكتاب "التنبيه على سبيل السعادة"[1].

الرَّابعُ: تميَّز الفارابيُّ بأنَّ علوم الحكمةِ إجمالًا وغايتَه هي سبب السعادة الحقَّة، والسعادةُ هي المعروفة العقليَّة الفلسفيَّة التي تُوفِّر للمرء أسمَى أنواع اللَّذَّة.

الخامِسُ: تبْيينُ الفارابيِّ للمنافع التي يحصلُ عليها منْ إحصاء العلوم منَ الكتاب وترجع إلى ثلاث أمور، أوَّلها تبصرةُ من يريد أنْ يتعلَّم علمًا من هذه العلوم فيجد هذا العلم وموضوعاته، ثم إكسابه القدرة على المقارنة بين هذه العلوم ليعلم أيُّها أفضلُ وأنفعُ وأوثقُ، وأخيرًا إكسابُه القدرةَ على اختبارِ مدى إحاطة مدعي العلوم بها وتضلُّعهم منها.

ويتجلَّى الأساسُ لتصنيف العلوم في تقسيمه الكتابَ إلى خمسة فصول: فصل يتحدَّث عن علم اللسان، وثانٍ يتناولُ علمَ المنطق، وثالثٌ يبحث في علوم التعاليم، ورابعٌ يشتمل على العلم الطبيعيِّ والعلم الإلهيِّ، وخامسٌ يحشر فيه العلم المدنيَّ وعلم الفقه وعلم الكلام. وفي الفصل الرابع يبحث في العلم الطبيعي والعلم الإلهي. ويعني بالعلم الطبيعيِّ ذلك العلمَ الذي يدرسُ الأجسامَ الطبيعية المختلفة من جمادات ونباتات وحيوانات، وهي أجسام بسيطةٌ أو مركَّبة، ويفحص هذا العلم عن مبادئ هذه الأجسام وأعراضها وعن وجود الأجسام البسيطة وعددها.

المبحثُ الثاني: علومُ الحكمةِ النظرية وعلاقتها بالبحث الإبستمولوجي

جاء في "معجم لالاند" تحت عنوان: إبستمولوجيا eigolometsipE: أنَّ كلمة إبستمولوجيا كانت تدلُّ - ولا تزالُ - عند بعض الكتاب على فلسفة العلوم، ولكن بمعنى أكثرَ تحديدًا، فهي ليست دراسةَ المناهج العلميَّة التي هي موضوع علم مناهجِ البحث ويؤلف قسمًا من المنطق، وليست أيضًا تأليفًا أو استباقًا اقتراحيًّا elarutcejnoC للقوانين العلميَّة (على طريقة الوضعية والتطورية)، بل هي في جوهرها دراسة نقديَّةٌ للمبادئ والفروض والنتائج التي بمختلف العلوم، ابتغاء تحديد أيها المنطقيُّ النفسانيُّ وقيمتها ومداها الموضوعيُّ. (صليبا، 1414هـ،ج2 / ص 162).

ومنَ الواضحِ إذنْ أنَّ هذا التعريفَ يعبِّرُ عن الشقِّ التقريريِّ في تعريف لالاند تعبيرًا صريحًا ويتطابق معه تمامًا ، أضف إلى هذا أنَّ "المعجم الفلسفيَّ" نظر في التمييزِ بيْنَ إبستمولوجيا ونظرية المعرفةِ التي اندرجتْ عنده تحت عنوان مستقلٍّ باعتبار أنَّ نظريَّة المعرفة تبحث في مبادئ المعرفة الإنسانيَّة وطبيعتها ومصدرها وقيمتها وحدودها، وفي

(1) والسعادة عند الفارابي مرتبطة بتصوُّره للتركيبة الإنسانية والنفس الإنسانية، والسعادة تكون عندما تسيطر النفس العاقلة (وفضيلتها الحكمة) على النفس الغضبية (وفضيلتها الشجاعة) والنفس الشهوانية (وفضيلتها العفة)، فيصل الإنسان للسعادة.

الصِّلة بين الذَّاتِ المُدركة والموضوع المدرك، وبيان إلى أيِّ مدى تكون تصوراتُنا مطابقة لما يؤخذ فعلًا، مستقلًّا عن الذِّهن. ففلسفة العلوم secneics sed eihposolihP أي الدراسةُ النقديَّة لمبادئِ العلوم وأصولها العامة، وهي إبستمولوجيا دراسة العلم ومناهجه ومبادئه وقيمته. (صليبا، 1414هـ،ج2 / ص 162).

وجاء في "المعجم الفلسفي"، الذي صدر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ما يشير إلى الجانب التقريريِّ الإيجابيِّ، فقد ورد تحت العنوان "إبستمولوجيا" أنها: دراسة نقديَّةٌ لمبادئ العلوم المختلفة وفروضها ونتائجها، وتهدف إلى تحديد أصلِها المنطقيِّ وقيمتِها الموضوعيَّة. (مجمع اللغة العربية، 1983، ص1).

المطْلبُ الأوَّلُ: علومُ الحِكْمةِ النَّظريَّةِ

تمهيدٌ:

يحسنُ بنا أولًا التوقُّفُ عند المفهوم اللغويِّ لمصطلح "حكمة" ومصطلح "نظرية" عن الفلاسفة المسلمين وعند الفارابي محلِّ الدراسة. يقول ابن منظور: "الحَكَمَةُ: ما أحاط بحَنَكَي الفرس، سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها تمنعه من الجري الشَّديد، وتُذلِّل الدَّابَّة لراكبها، حتَّى تمنَعها من الجِماح، ومنه اشتقاقُ الحِكْمَة؛ لأنَّها تمنعُ صاحبَها من أخلاق الأراذل. (ابن منظور، 1414 هـ، ج11 / ص 458).

والحكيمُ هو: الذي يجمعُ بين العلم والأخلاق المثاليَّة، وهو الذي يجعل سلوكَهُ مطابقًا لأحكام العقل.

أمَّا مصطلح "نظرية" فقد جاء في "المعجم الوسيط": نَظَرَ إلى الشيء نَظَرَ نَظَرًا، ونَظْرًا: أبصره وتأمَّلَه بعينه. ونَظَرَ فيه: تدبَّرَ وفكَّر، وهي قضيةٌ تثبت ببرهانٍ، وهي عند الفلاسفة تركيبٌ عقليٌّ مؤلَّفٌ من تصوُّراتٍ منسَّقة، تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ. (مجمع اللغة العربية، 1983، ج2 / ص477).

أما عند فلاسفة المسلمين فكان لهم منظورُهم الخاصُّ للحكمة حسب فلسفتهم؛ يقول ابن سينا: "الحكمة صناعةُ نظرٍ يستفيد منها الإنسان تحصيلَ ما عليه الوجُود كلُّه في نفسه، وما الواجب عليه عمله ممَّا ينبغي أن يكتسِبَ فعله؛ لتشرُفَ بذلك نفسُه وتستكملَ وتصيرَ عالمًا معقولًا مُضاهيًا للعالم الموجود، وتستعدَّ للسعادة القصوى بالآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانيَّة". (ابن سينا، 1908، ص105).

ويعرِّفُها ابنُ رشد بقوله: "النظرُ في الأشياء بحسب ما تقتضيه طبيعة البرهان". (ابن رشد، ص 625).

ويقولُ عنها الكنديُّ: "وأمَّا الحكمةُ فهي فضيلةُ القوَّة المنطقيَّة وهي علم الأشياء الكليَّة بحقائقها، واستعمالُ ما يجب استعمالُه من الحقائق". (الكندي، 1978، ص 137).

أمَّا الفارابيُّ في التعليقات فيقول: "الحكمةُ معرفةُ الوجودِ الحقِّ، والوجود الحقُّ هو واجبُ الوجود بذاته، والحكيمُ هو من عنده عِلمُ الواجب بذاته بالكمال، وما سوى الواجب بذاته ففي وجوده نقصان عن درجة الأول بحسبه، فإذن يكون ناقص الإدراك، فلا حكيم إلَّا الأوَّل لأنَّه كامل المعرفة بذاته". (الفارابي، 2012، ص 9).

وقد جمع السُّيوطيُّ الأقوال في تعريف الحكمة فقال: "علم الحكمة: ما يبحثُ فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه من الوجود بقدر الطاقة لتصير النَّفسُ الإنسانية بتحصيلها كاملةً مُضاهيَة للعالم العقليِّ وتستعدَّ بذلك للسَّعادةِ القصوى الأخْرويَّة. وقيل: استكمال النفس الإنسانية بالتصوُّرات والتصديقات النظريَّة بقدر الطاقة البشريَّة، وقيل: استكمال النفس الإنسانية في قوَّتها النظريَّة بمعرفة الحقِّ، وفي قوتها العمليَّة بفعل الخير، وقيل: استكمالها بتصوُّر الأمور والتَّصديق بالحقائق النَّظرية والعمليَّة". (السيوطي، 2004، ص 130).

والباحثُ يرى أنَّ الحبلَ الناظمَ لهذه التعريفات هو كونُها تتَّفق على أنَّ الحكمة هي معرفة حقائق الأمور بصورة يقينيَّة ورؤية كليَّة يتمُّ من خلالها تفسيرُ الموجودات، والوقوفُ على أسبابها العميقة التي تغيب عن كثير من الناس، ليصلَ الحكيمُ بعد تلك المحاولات إلى تحصيل السعادة ونيلِها؛ لأنَّ السعادة في جوهرِها -كما يقول الفارابيُّ- تأمُّلٌ ولذَّةٌ وبهجةٌ.

أمَّا مفهومُ الحكمة النظريَّةِ إجمالًا عند الفلاسفة فهي تشملُ مسائلَ الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية كلِّها، فإنّ المُدْرَكات فيها من شأنها النظرُ فيها والاعتقادُ بها فحسب، ولا تتطلب عملًا بها وإتيانًا لها.

فالحكمةُ النظريَّة تمتازُ بالتحليل والنظر في التفاصيل وردِّ كلِّ الأشياء - مهما كانت ضئيلةً - إلى أسبابها، بينما الحكمة العمليَّة تقوم على عكس ذلك؛ فهي تُكثِّف العبارة وتُقدِّم الخُلاصةَ مباشرة دون التعمُّقِ، والجدير بالذكر أنَّ الحكمةَ العمليَّة قد تتناقض في بعض المرَّاتِ، أمَّا الحكمةُ النظريَّة فهي متميزة بالإحكام العقليِّ الذي يقوم على التنظيم الدَّقيق للأفكار وعلى تتابُعِها المنهجيِّ المصحوب بالأدلة والبراهين. (النشار، 1998، ص34)

ويُؤكِّد هذا المعنى ابنُ سينا ويقول: "فصل في أوَّلِ أقسام الحكمة: الحكمةُ تنقسم إلى قسم نظريٍّ مجرَّدٍ، وقسم عمليٍّ، والقسم النظريُّ هو الذي الغاية فيه حصُولُ الاعتقادِ اليقينيِّ بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودُها بفعل الإنسان، ويكون المقصود إنَّما هو حصولُ رأيٍ فقط مثل علمِ التَّوحيد وعلم الهيئة، والقسم العمليُّ هو الذي ليس الغايةُ فيه حصولَ الاعتِقاد اليقينيِّ بالموجودات بل ربَّما يكون المقصودُ فيه حصولَ صحَّة رأي في

أمـر يحصُـلُ بكسـب الإنسـان ليكتسـبَ مـا هـو الخيـرُ منـه، فـلا يكـون المقصـود حصـولَ رأي فقـط بـل حصـولَ رأيٍ لأجـل عمـلٍ. فغايـة النظـريِّ هـو الحـقُّ وغايـة العملـيِّ هـو الخيـرُ". (ابـن سـينا، 1200، ص30)

وقـد جـاء فـي "مجموعـة اسـتنافورد للفلسـفة" تفريـق أرسـطوطاليس بيـن المعرفتيـن بمـا يقـرِّرُ مـا سـبق: "العلـوم النظريَّـة: تحتـوي فـي الأسـاس مـا يدعـوه أرسـطو (الفلسـفة الأولـى)، أو الميتافيزيقـا كمـا ندعوهـا اليـوم، لكنَّهـا تتضمَّـن أيضًـا (الرياضيَّـات)، و(الفيزيـاء) أو مـا يُدعـى العلـومَ الطَّبيعيـةَ. والفيزيـاء تـدرُس الكـونَ الطبيعـيَّ باعتبـاره وحـدةً كلِّيـةً، وتميـلُ إلـى التَّركيـزِ - عنـد أرسـطو - علـى الألغـاز المفاهيميَّـة المتعلّقـة بالطبيعـة، عوضًـا عـن البحـث التجريبـيِّ، ولهـذا فالعلـوم الطبيعيَّـةُ تتضـادُّ مـع العلـوم النظريَّـة، والتـي تسـعى إلـى المعرفـة مـن أجـل المعرفـة، وتتضـادُّ أيضًـا، لكـن بدرجـة أقـلَّ مـن الوضـوح، مـع العلـوم الفعليَّـة، والتـي تتعامـل مـع خلـق منتجـات خارجيَّـة بالنسـبة للعلـوم نفسِـها، ويندرجُ فـي هـذا الفـرع: عِلْمَـا السياسـةِ والأخـلاقِ". (موسـوعة سـتانفورد للفلسـفة، 2019، ص 7).

ومن خلال هذا العرض يتَّضح لنا أنَّ الحكمةَ النظريَّة هي أكثرُ كلية لأنها تبحثُ عن الأسُس والأصول النظريَّة الكليَّة التي يقومُ عليها الوجودُ، فمن خلالِ الدَّهشة التي تُوقظُ الفيلسوفَ أو الحكيمَ فتجعلُه ينطلقُ إلى تقصِّي الحقائق وتعميقِ نظره للحياة وغوصِه داخلَ جزئيَّاتها، يخرجُ لنا بنظرة كليَّة يتَّضحُ منْ خلالها تفسيرُه للوجود.

- **مفهومُ وطبيعةُ الحكْمةِ النظريَّةِ عند الفارابي وتطوُّرُها:**

فيمـا سـبق بينَّـا مفهـوم الحكمـة النظريَّـة عنـد بعـض الفلاسـفة المسـلمين، ولعلَّنـا هنـا نقـفُ عنـد مفهومهـا الخـاصِّ لديـه، وفـي المقابـل رصـد تطـوُّرِ الحكمـة النظريَّـة فـي فلسـفة ومصنَّفـات الفارابـيِّ إلـى كتابـه "إحصـاء العلـوم" والتـي يـدورُ مفهومهـا كمـا ذكرَهـا فـي كتابـه "رسـالة فـي العقـل" علـى أنَّهـا مـا يسـتنبطُ فكـرًا مـن مبـادئ لأصحـابِ العلـوم النظريَّـة التـي يسـتنبطُونَ بهـا مـا شـأنُه مـن الأمـور النظريَّـة التـي تعلـم ولا تفعـل. (الفارابـي، 1983، الأب موريـس بويـج، محـرِّر، ص 56).

والتـي يُسـمِّيها الفارابـيُّ ـ أحيانًـا ـ العلـومَ النظريَّـةَ أو "الفضائـلَ النظريَّـة" ويذكرهـا فيقـول: "ولأهمِّيَّـةِ الحكمـةِ النظريـةِ نجـدُ الفارابـيَّ وضعهـا مـن خـلال فصْـلٍ سمَّاه "الفضائـل النظريَّـة" فيقـول: الأشـياء الإنسـانية التـي حصَلـتْ فـي الأُمَـمِ وفـي أهـل المُـدن حصَلـتْ لهـم السـعادة الدنيـا فـي الحيـاة الأولـى والسـعادة القصـوى فـي الحيـاة الأخـرى". (الفاربـي، علـي بـو ملحـم، محقـق، 1995، ص20).

لذا فالفضائل النظريَّة في حقيقتها العلومُ التي الغرض الأقصى منها أنْ تحصِّلَ السعادةَ والموجودات التي تحتوي عليها معقولةٌ، فهي عنده العلوم التي تَقومُ على حصول الموجوداتِ في العقل، أو على تعقُّلِ الموجودات دون أنْ يُعملَ بها؛ ولذا دُعيتْ نظريةً لا عمليَّةً، والعلوم النظريَّة عنده نوعان: علوم أُوَلٌ، وعلوم تحصل عليها بالفحص والاستنباط، أو بالتَّعلم والتَّعليم، والعلومُ الأُوَلُ هي المقدِّمات الأُوَلُ للعلوم، إذ لكلِّ علم مقدِّماتٌ أو مبادئُ التعليم فيها، ومبادئ التعليم هي المادَّة والصُّورة والفاعل والغاية، أمَّا العلوم المكتسَبة بالفحص والاستنباط أو بالتَّعلُّم والتعليم فهي علمُ التعاليم والعلم الطبيعيُّ والعلم الإلهيُّ والعلم المدنيُّ .

ولعلَّنا هنا نرصُد طريقة التطوُّر في الحكمة النظريَّة من خلال بعض مؤلَّفاته إلى آخرِ ما ألَّفه وهو كتاب الدِّراسة "إحصاء العلوم" فنجدُه في كتاب أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها تأتي الحكمة النظريَّة والتي من شأنها أنَّها تعلم ولا تفعل ما وضعه في الفصل 62 تحت اسم "القولُ في احتياجِ الإنسان إلى الاجتماع والتَّعاون" فقال: "فالخيرُ الأفضل والكمالُ إنَّما يُنال بالمدينةِ لا اجتماعِ الذي هو أنقص منها إذ الخيرُ لا يُنالُ إلا بالاختيارِ والإرادة وكذلك الشرُّ؛ فالأمَّةُ التي تتعاونُ مدُنها على أنْ تنالَ السَّعادة هي الأمةُ الفاضلة". (الفارابي، 2012، ص 69).

كما نجدُه في كتاب: "تحصيل السعادة" متحدِّثًا عن (الفيلسوف الحقِّ) يقول: "ونظرًا لأهمِّيَّة الحكمة النظريَّة المعرفيَّة لديه وضع الفارابيُّ حقيقةً للفيلسوف الحقِّ وفرَّقه بين الزُّورِ والبَهْرَجِ فقال: فإنَّ الذي سبيلُه أنْ يشرَعَ في النظر ينبغي أنْ يكونَ له بالفطرةِ استعدادٌ للعلوم النظريَّة فيكون جيِّدَ الفهْمِ والتصوُّر للشيء وللشيء الذاتيِّ ثم يكونُ حفوظًا وصبورًا على الكدِّ الذي ينالُه بالتعلُّم وأنْ يكونَ محبًّا للصِّدق وأهلِه والعدلِ وأهلِه". (الفارابي، 1995، ص 96،95).

وفي موضُوع آخرَ يُطلق عليه "العلم المدنيَّ" وفيه ما يراه الفارابي يشمل علم الأجناس الأربعة التي تحصل السعادة القصوى لأهل المدن والأمم والذي يبقى بعد هذه أن تحصل على ما أعطته الأمور النظريَّة.(الفارابي، 1995، ص 47)

وفي كتابه "رسالة في العقل" نجدُ الاهتمامَ بالحكمةِ النظريَّةِ واضِعا ما يُسمِّيه "مبادئ التعقُّل والذَّاهي" فيقول: "وفيما سبيلُه أنْ يُستنْبطَ من الأمور الإراديَّة التي من شأنِها أنْ تأثر أو تتجنَّب هذه القضايا التي ما يستنبط بالتعقُّلِ كنسبةِ القضَايا الأُولى إلى ما يُستنبَطُ فكرًا، وهذه المبادئ لأصحاب العلوم النظريَّة التي يستنبطون بها ما شأنُه من الأمور النظرية التي تعلم ولا تفعل، كذلك هي مبادئ للمُتعقِّلِ فيما شأنُه أنْ يُستنبَط منَ الأمورِ الإراديَّة العمليَّة". (الفارابي، 1983، الأب موريس بويج، محرِّر، ص 10).

وفي كتاب الحروف[1] نجد الفارابيَّ يرصُد الحكمةَ النظريَّة من فهم الصِّلة بين اللُّغة والعلوم والمقولات وارتباطها وتطوُّرها في اللغاتِ كمفردة الموجود التي بوَّبَ لها في الفصل الخامسَ عشرَ وذكر قائلًا: "الموجودُ في لسان العربِ اسمٌ مشتقٌّ من الوجودِ والوجدان وتستعملُ في المُطلَق والمقيَّد أمَّا في ألسِنةِ سائر الأُمم فتعني (يافت) وفي السغدية وبعض اللُّغاتِ باسمِ "فيرد" وتعني الوجودَ والوجدان". (الفارابي، 1990، محسن مهدي، محقق، ص 28، 29).

ومنْ هُنا يرَى الباحثُ أنَّ الفارابيَّ اعتنى بالحروفِ ذاتِ الدِّلالة إلى مفردةِ الوجودِ وأهمِّيتِها في مباحثِ الفلسفة وَأنَّه أفردَ لها فصْلا خاصًّا وفي المقابلِ نراهُ يربطُ دلالةَ الحروفِ ومعانيها بصناعةِ الكلام وهو ما فعله في فصل سمَّاه "حدوثُ الألفاظ والفلسفة والملَّة" لذا يقول: "والملَّة وإنْ كانتْ إنَّما تُعلِّم الأشياءَ النظريَّة بالتَّخيُّل والإقناع وطرقُ التَّعلُّم لا تعرفُ إلا بهذيْنِ، فصناعةُ الكلام التابعة للملَّة لا تشعر بغير الأشياء المُقنعةِ ولا تُصحِّحُ شيئًا فيها إلا بطُرقٍ وأقاويلَ اقناعيَّةٍ، والإقناعُ إنما يكون بالمقدمات والضمائر والجمل". (الفارابي، 1990، محسن مهدي، محقق، ص 111).

من هنا نُدرك أنَّ فلسفة الفارابيِّ وتطوُّرَها تُعدُّ من الفلسفات الأولى التي اعتنتْ بعلوم الحكمةِ وخاصة بالنظريِّ منها، واتَّسمتْ باستقلاليَّتِها عن فلسفة اليونان وخاصة فلسفة أفلاطون وأرسطو، مع استفادته وتأثُّره بفلسفتِهما، وهو أمرٌ جليٌّ من خلال كتابه "الجمع بين رأي الحكيمين" إلا أنَّ فلسفتَهُ امتازت بانتِقالها من الميتافيزيقا إلى المنْهجِ العلميِّ والمعرفيِّ، والتي من خلاله أصبحتْ بُعدًا خاصًّا مُتَّصلًا بعلوم الحكمة، والتي مهَّدت الطريقَ لإيجاد التوافُق بين الفلسفة والتصوُّف مثلًا وأمام أعمال الفلاسفة الذين من بعده ومنهم ابنُ سينا.

وللباحث رأيٌ يميلُ إليه في هذه الدِّراسة أساسُه أنَّ الإبستمولوجيا الفارابيَّة تتعاضدُ، والمشروع الفلسفي الفارابي في مناحيه الواسعة حرَصَ على بُعْدِه النظريِّ من موقفه لتحصيل سعادة الفرد والمدينة الفاضلة، فالمعرفيُّ إذًا سابقٌ للسياسيِّ، وأنَّ السياسيَّ بالنِّسبة للفلسفيِّ يتأسَّس على المعرفيِّ، وهذا التصوُّر الفارابيُّ مُستَوحًى من الموقف الأفلاطونيِّ، القائم على ربط الرياضيات بالفلسفة عمومًا، وبالمشروع السياسيِّ تخصيصًا، فالرّياضيات شكَّلتِ الأنموذجَ الذي شرَّع به أفلاطون تأصيلَ مشروعِه السياسيِّ برُمَّتِه. كما يُعْزَى أيضًا إلى الطَّرْح الأرسطيِّ، حيث عُدَّ المنطقُ في تقدير المعلِّم الأوّل، النّموذجَ. علمًا وأنَّ علم المنطقِ لديه قد استند على علم الأحياء وتصنيف الكائنات الحيَّة لا جرَمَ في القول، أنَّ هذا التقليد سيترسَّخ في الفلسفة الحديثة، سيَّما مع كلٍّ من:

(1) وهو كتابٌ اعتنى به الفارابي في رصْد وفهم الصِّلة بينَ العلوم واللُّغة وتطوُّرها ويقصَدُ به حروف التَّهجِّي (وإن لم يحرصْ علي الحروفِ الهجائية كلِّها)، وهذه الحروفُ فيما له صوتٌ به قرعٌ بأجزاء الفمِ ويأتي ذلك ضمن اهتمامِه بأصل اللغة ونشوئِها واكتمالِها وأصواتِها وهو في الحقيقة رصد لطبيعة الحروف التي سمَّاها اليونان الأدواتِ وسمَّاها العرب حروفَ المعاني أو الحروف الدَّالَّةُ على معاني ص 28 بتصرف.

"ديكارت"، في اعتباره الرِّياضيات نموذَجًا للدِّقة والبداهة والوضوح، بما يفسِّر التوجُّه العقلانيَّ للفلسفة الدّيكارتيَّة. وكذا مع "سبينوزا"، الذي بنى الأخلاق على أساس هندسيٍّ.

وفي المقابل ندرك أنَّ المدارس الفلسفيَّة مختلفةٌ في مناهجها فإنَّ لكل فيلسوفٍ وجهةَ نظرٍ يعبِّرُ من خلالها عن نظرتِه للأشياء، وهذا ممَّا يُميِّزُ الفلسفة عن غيرِها، حيث لا احتكارَ في المعرفة ولا في طرق الوصولِ إليها، وفيما يلي بيانٌ لما يراه الفارابيُّ من الحكمة النظريَّة؛ لذا يدعو الفارابيُّ العلومَ النظريَّة بالفضائل النظريَّة، ويُحدِّدُ غرضَها بأنَّه تحصيلُ الموْجودات في العقل دونَ أنْ يُعمَلَ بها؛ ولهذا سمِّيتْ نظريَّةً لا علميَّةً، ويُقسِّم العلومَ النظريَّة كما ذكرها في كتابيْهِ تحصيل السعادة (الفارابي، 1995، ص 25) ثم فصل بها في كتابه إحصاء العلوم إلى نوعين هما:

أولًا- عُلومُ أُوَلٌ: وهي المقدِّمات للعلوم التي ينطلق منها، وهي تشكل مبادئ التعليم فيها، ومبادئ التعليم هي مبادئ الوجود.

ثانيًا- العلومُ المكتَسبةُ: وهي ما يُتَوَصَّلُ إليها بتأمُّلٍ وفحصٍ واستِنْباطٍ، وهي أربعةُ أنْواعٍ:

- **علمُ التَّعاليمِ:** وهو العلم الذي يشتَملُ على جنس الأعدادِ والأعظام، ويدخلُ فيه علمُ الحساب والفلك، ويعتني هذا العلم بالمبدأ الصُّوريِّ للأشياء دونَ الماديِّ، ثمَّ يترقَّى هذا العلمُ شيئًا فشيئًا حتَّى يصلَ إلى المادَّةِ. ويذهبُ الفارابيُّ إلى أنَّ علم التعاليم هو أوَّلُ العلوم التي ينبغي أنْ يبدأ الإنسانُ في تحصيلِها؛ لأنَّه أسهلُ العلوم وأبعدُها عن الالتباس والحيرة والاضْطراب.

- **علمُ التَّعليم:** وهذا العلم ينقسم إلى سبعة أجزاء، يشتمل علمُ التعليم على سبعةِ علومٍ هي: علم العدد، وعلم الهندسة، وعلم النُّجوم، وعلم المناظر، وعلم الموسيقى، وعلمُ الأثقال، وعلمُ الحِيل.

أمَّا اليومُ فتصنَّفُ هذه العلوم في أربعةٍ هي: الرِّياضياتُ (العددُ والهندسة)، وعلمُ النُّجوم، وعلم الموسيقى، وعلم الفيزياء (علم المناظر وعلم الأثقال وعلم الحيل أو الميكانيك).

وأمَّا النظريُّ فإنَّه يفحصُ الأعدادَ بإطلاقٍ على أنَّها مجرَّدةٌ في الذِّهن من الأجسام وعن كلِّ معدود منها وإنَّما ينظرُ فيها خَالصَةً عن كل ما يمكن أنْ تُعدَّ بها من المحسوسات وهذا هو الذي يدخل في جملة العلوم.

- **العلمُ الطبيعيُّ:** وهو ما يتمحور حول الأجسام المحسوسة الموجودة في العالم، وما ينتجُ عنها، وينظر في أجناسِ هذه الموجودات وأنواعِها، ومبادئ كلِّ نوع (مادَّتِه - صورتِه - علَّتِه الغائيَّةِ - علَّتِه الفاعلةِ). ثم يقوده النظرُ في الأجسام السَّماويَّة إلى أجسام ليستْ طبيعيَّةً ولا غيرَ طبيعيَّةٍ.

فالعلم الطبيعيُّ ينظرُ في الأجسام الطبيعيَّة وفي الأعراض التي قِوامُها في هذه الأجسام ويعرف الأشياء التي عنها والتي بها والتي لها توجدُ هذه الأجسام والأعراض التي قوامها فيها، والطبيعة هي التي وجودُها لا بالمصانَعة ولا بإرادة الإنسان، مثلُ السَّماء والأرض وما بينهما والنَّبات والحيوان. حاشية مقدِّمة الإحصاء

- **العلمُ الإلهيُّ:** وهو علم ما وراء الطبيعة، وموضُوع هذا العلم هو الموجودات التي لا مادَّةَ لها، ويتابع الفحص حتى يصل إلى موجودٍ لا علَّةَ فاعلةَ له، ولا علَّةَ غائيَّة، بل يكون حينها هذا الموجود هو المبدأُ لجميع الموجوداتِ في العالم. (الفارابي، 1994، عثمان أمين؛ محقق).

وما بدأ الفارابي بتصنيف العلوم، إلا إشارةً منه على عزمِه بدْأ الطريق في النَّظر الفلسفيِّ، اِنطلاقًا من تمييز مجالاتِه وموضوعاتِه ومناهجِه أوَّلًا، ثمَّ الارتقاء من ذلك إلى الرَّبط بينها في وحدة تكامليَّة تسمح له بوضعِ نسقٍ فلسفيٍّ متينٍ. ويكونُ هذا الشَّاهد كافيًا، للبرهنةِ على رأيِه، فموضوعات العلوم إمَّا أنْ تكون "إلهيَّةً وإمَّا طبيعيَّةً وإمَّا منطقيَّةً وإمَّا رياضيّةً أو سياسيّة وصناعة الفلسفة هي المستنبطة لهذه والمخرجة لها".

ولعلَّ هذا القولَ فيه اختزالٌ لمعنى الفلسفة وأساسِها، إذ بها تتقوَّم جميعُ العلوم وبها تتأسَّس ، الأمرُ الذي بمقتضاه تكون كليَّةً من حيثُ الأصلُ، جزئيّةً من حيثُ هي تأسيسٌ، ولكنَّ اللَّافتَ للنَّظر أنَّ أبا نصرٍ لم يتعرَّضْ للفلسفةِ في مؤلَّفِه: "إحصاء العلوم"، الذي خصَّصه ليجُوسَ في مراتبِ العلوم وتقسيمِها على نحو ما رأينا سابقًا، لأنَّها العلمُ الذي نجده في كلِّ علم فهي العلم الكلِّيُّ الذي تحتاج إليه جزئياتُ العلوم كي تقومَ.

ولنا في تعريف "لالاند" للفلسفة المنهجيَّة أو المنهجِ شاهد على هذا التَّماسُكِ في فلسفة الفارابيِّ، بقوله: "المنْهجُ مجموعةُ عناصرَ يتوقَّف بعضُها على بعضِها الآخرِ بحيثُ تشكِّل هذه العناصرُ كلًّا منتظِمًا. والفلسفة المنهجيَّةُ هي مجموعةُ أفكار مترابطةٌ منطقيًّا. وينظر إليها في اتِّساقها المنطقيِّ، بحيث تفسِّرُ الأفكار الأخيرة بالأفكار الأولى التِي تشكِّل نقطةَ انْطلاقِ النّظام المنْهجيِّ وفرضياتِه. ويهتمُّ الفيلسوف المنهجيُّ بدقَّةِ التسلسلِ المنطقيِّ الذي يحكم أفكاره، ويبقى محتفظًا بنقطة انطلاقه محاوِلًا فرض فكرته الأساسيّة". (لالاند، 2001، ص147).

ويتَّضحُ ممّا أسلفنا ذكْرَه، أنَّ المنهجيَّة التي توخَّاها الفارابيُّ في سياق إحصاء العلوم لبلْوَرة ملامح إبستمولوجيا عربيَّة هادفة، إنَّما لغاية تعليميَّةٍ ، ويتجلَّى لنا ذلك في العديد منْ مؤلَّفاتِه، الحاملة للطابع التعليميِّ منْها: "إحصاء العلوم"، و"آراء أهلِ المدينة الفاضلة"، و"السياسة المدنيَّة"، وكتابه

"تحصيل السَّعادة" خصوصًا، على نحو ما بيَّنا ذلك في قسْمِ التحليل[1].

ولا بأس منَ الإشارةِ إلى مُسَلَّمَةٍ مهمَّةٍ مُفادها، أنَّ ماهيَّةَ الإبستمولوجيا على نحْوِ ما قالَ بها الفارابيُّ، لا ينبغي أن تحمل على دلالتها الحديثة اِعتبارًا إلى أنَّ المعلِّمَ الثاني، لا يرسم قطيعةً بين المعرفي والأنطولوجي، إلا على جهة التَّمييز بين التقدُّم الزَّمنيِّ والتقدُّم المنطقيِّ، فمبادئ الوجود في نظر الفارابيِّ، لهي مبادئ المعرفة التامَّة. كما أنَّ السُّؤال الإبستمولوجيَّ يقود لديه إلى المسألة السيكولوجيَّة المتَّصلة بمبدأ التصوُّرات والتصديقات، أو بعبارة أدقَّ، بالملَكاتِ المنتِجةِ للمعرفة أو المتقبِّلة لها[2].

المطلبُ الثَّاني: القيمةُ الإبستمولوجيَّةُ "العلاقةُ بينَ العلُوم"

تمهيدٌ:

تميَّزتِ الخلافةُ الإسلاميَّة في العصر العباسيِّ (132 - 656 هـ / 661 - 1274م) بعقليَّة جديدة لم تعرفْها الأمَّة الإسلاميَّةُ من قبلُ في تاريخها، وقد تمثَّل ذلك في ميلِ الخلفاء ابتداءً من المنصور (136 - 158 هـ / 754 - 775 م) وانتهاءً بالمأمون (198 - 218 هـ / 813 - 833 م) إلى البحُوثِ العلميَّة والفلسفيَّة على مختلف أنواعها. (جابر بن حيان، بدون تاريخ).

ومنْ ثمَّتَ فإنَّ فترةَ حكم العباسيين تمثِّل عصرًا تميَّزَ فيه الخلفاءُ برعايتِهم العظيمةِ للعلمِ والمعرفة. (الكندي، 1950، ص 363 - 382) وقد نتجَ عن ذلك أنْ أسْهمَ العلماءُ إسهامًا عظيمًا في إنارة طرق تقدُّم الحضارة العالميَّةِ، ففي عهد هذا الانْطلاق لبنِي العبَّاس ازْدهرتِ الحركةُ الفلسفيَّةُ والعلميَّةُ الكبرى وشقَّتْ طريقها إلى "العصر الذهبيِّ للإسلام". (خليفات، 1988)، (وابن النديم، 1971).

منْ هُنا يُفْهمُ أنَّ تصنيف العلوم قدَّم لطلاب العلم ومحبِّي المعرفة كيفيَّةَ التَّعرُّف الصحيح على موضوع العلم الذي يريدون أنْ يتعلَّموه، ومكَّنهُم منْ أنْ يوازنُوا بين العلوم ليعرفوا أفضَلها وأوثقها وأتقنها. كما ساعد على تشييد أسُسٍ متينةٍ لمواصلة البحث العلميِّ والتأمُّل واستمرارِ تحصيل

(1) من الواضح أنَّ هذا التعريف يعبِّرُ عن الشقِّ التقريريِّ في تعريف لالاند، تعبيرًا صريحًا ويتطابقُ معه تمامًا. أضفْ إلى هذا أنَّ المعجم الفلسفيَّ نظر في التمييز بين إبستمولوجيا ونظرية المعرفة التي اندرجتْ عنده تحتَ عنوان مستقلٍّ باعتبار أنَّ نظرية المعرفة تبحث في مبادئ المعرفة الإنسانيَّة وطبيعتها ومصدرها وقيمتها وحدودها وفي الصلة بين الذَّات المدركة والموضوع المدرك وبيان إلى أيِّ مدى تكون تصوُّراتُنا مطابقة لما يؤخذ فعلًا، مستقلًّا عن الذِّهْنِ.

(2) فصناعة المنطق تعطي جملةَ القوانين التي شأنُها أنْ تقوِّم العقلَ وتسدِّدَ الإنسانَ نحو طريق الصَّواب ونحوَ الحقِّ في كلِّ ما يمكنُ أنْ يغلطَ فيه من المعقولات والقوانين التي تحفظه وتحوطه من الخطأ والزَّلل والغلط في المعقولات والقوانين التي يمتحن بها في المعقولات ما ليس يُؤمَنُ أنْ يكونَ قد غلطَ فيه غالط.

المعارف الجديدة مما ساعد على ازدهار الحضارةِ الإسلاميَّةِ وتقدُّمِها[1].

تطوُّرُ تصنيفِ العلومِ في العالمِ الإسلاميِّ

التَّصنيفُ هو جعلُ الأشياء أصْنافًا وضُروبًا على أساس يَسهُلُ معه تمييزُها بعضُها منْ بعض، أو أن ترتَّبَ المعاني بحسب العلاقات التي تربطها بعضَها ببعضٍ (صليبا، بدون تاريخ)، ومن ثَمَّ فإنَّ تصنِيف العلومِ هو العلاقة المتبادَلة بين العلوم ومكانِها في نسَقِ المعرفة الذي تعينُه المبادئ المحدّدةُ التي تعكس صفاتِ الموضوعاتِ التي تدرسُها العلوم المختلفة والتي تعكس أيضًا الصِّلةَ بيْن هذه الموضوعات.

ويُمكنُ -من الناحية المعرفيَّة- أنْ تكونَ مبادئُ تصنيف العلوم موضوعيَّةً متفقةً مع طبيعة موضوع بحث العلوم أو ذاتيَّةً تتوقف على حاجات الإنسان الحياتيَّة. (روزنتال، 1985).

ولمَّا كانتِ الفلسفة تُعْنَى دائمًا بالتفكير العلميِّ في عصرها، أعنى أنَّها لا تختلف عن العلم أصلًا وجوهرًا. فالفلسفة تحلل لتصل إلى القاعدة العميقة التي تشترك فيها العلوم كلُّها، وعنها تتفرَّعُ، وبديهي أنْ يتَّصلَ تصنيفُ العلوم اتِّصالًا وثيقًا بالمنهجِ عند الفيلسوفِ، ما دام الأمرُ يتعلَّقُ ببيانِ حدُودِ هذه العلوم والعلاقة القائمة بينها. (زكي نجيب محمود، بدون تاريخ).

ويمكِنُ القولُ: إنَّ معظمَ الفلاسفة العرب والمسلمين قد اتَّبعوا هذا التَّصنيفَ الذي وضعَه شُرَّاحُ أرسطو، ولكنْ بعد أنْ أدخلوا عليه الكثيرَ من الإضافات، لا سيَّما فيما يختصُّ بالعلومِ التي ترجعُ إلى الدِّين الإسلاميِّ الذي يُعدُّ أساسَ حضارةِ المسلمين. (أحمد محمود صبحي، 1997).

وفي المقابل أنَّ هذه العلوم كانت موضوعَ رهبةٍ واحترامٍ من عامَّة المسلمين بلْ حتَّى من بعض الخلفاء وكانت العلاقةُ الحميمةُ بينَ المختصِّين في هذه العلوم وبين أولئك الذين يستشيرونهم متواصلةً. وكان تنوُّعُ الحاجاتِ والرَّغبات المطلوبِ إشباعُها حتى من قِبَلِ الخلفاءِ- عظيمًا؛ ولهذا يُمكنُ أنْ نفهمَ في يُسْرٍ لماذا كانت هذه العلومُ موضِعَ تحسينٍ واهتمامٍ في العالم الإسلاميِّ.

(1) بدأ التأليفُ في مجال تصنيفِ العلوم في العالم الإسلاميِّ ابتداء من القرن الثاني للهجرة، وذلك برسالة لجابر بن حيان (ت 160 هـ) سماها رسالة الحدود. وكذلك نجد عند الكندي (ت 260 هـ) في القرنِ الثالث الهجريِّ محاولةً لتصنيف العلوم من منظور أرسطي وذلك في رسالته التي سماها "رسالة في كمية كتب أرسطو". أما في القرن الرابع الهجري، فنجد أبا زيد البلخى (ت 322 هـ) الذي أخذ عن الكندي فكرةَ تصنيف العلوم من المنظور الأرسطي، قد وضع في هذا المجال كتابًا بالغَ أبو حيان التوحيديُّ في الثناء عليه - كما سوف نرى - وهو كتاب "أقسام العلوم" ، وكذلك نجد أبا نصر الفارابي (ت 339 هـ) الذي تأثر بفلسفة كلٍّ من أفلاطون وأرسطو وحذا حذْوَهُما في تقسيم العلوم. وقد وضع أيضًا كتابيْنِ في هذا المجال هما "إحصاء العلوم" و"التنبيه على سبيل السعادة".

وأمَّا علمُ الموسيقى[1]: فهُو في نظرِ الفارابي علم محمودٌ لما له منْ تأثيرٍ في النَّفس الإنْسانيَّةِ لأنَّها تعشقُ الأمورَ المَوْزونةَ، فإذا رأتِ النَّفسُ على سبيلِ المثال صورةً حسنةً أو سمعتْ صوْتًا حسَنًا فإنَّها تتذكَّر علمَ العقول فتنبسطُ لها وتنْشرحُ لأجلها وترتاحُ لاستماعِها، كارتياح الأفلاك للأمر اللطيفِ، من أجل ذلك يشير البيضاويُّ إلى دوْرِ الموسيقى في علاجِ المرضى وهذا ما أكَّده العلمُ الحديثِ أيضًا. (ماهر عبد القادر ، 2018) ، تبرُزُ فكرةُ تصنيفِ العلوم Classification des sciences في فترات تاريخيَّة معيَّنة، تتميَّز بخاصِّيتَيْنِ أساسيَّتَيْنِ :

الأولى: تزايدُ الكمِّ المعرفيِّ تزايدًا كبيرًا.

الثانية: استمرارُ حدوثِ التقسيمات في فروع المعرفة المختلفة، وتشعُّب فروعٍ أخرى أصغرَ منها: تحتها أو بجانبِها.

وبما أنَّ العقلَ الإنسانيَّ يميل دائمًا إلى التجريد ، ومن ثَمَّ إلى الوحدةِ كما أنَّه يسعى إلى تحقيقِ الانسجام في وسَط الفوْضَى؛ فإنَّ محاولات ضبطِ العلوم وفروع المعرفة المُختلفة والمتناميَةِ باستِمْرار في نظام منطقيٍّ معقولٍ لم تتوقَّف على مدى العصُور، ولعلَّ هذا يفسِّرُ لنا أحد الدوافِع الفلسفيَّة وراءَ "تصنيف العلوم".

وأقدم تصنيف للعلومِ نجدُه عن أرسطو (ت 322 ق. م.) الذي وردتْ في كتابِه "الميتافيزيقا" العبارة التَّالية: كلُّ فكر إمَّا علميٌّ أو شعريٌّ أو نظريٌّ، وقد أصبحتْ هذه العبارةُ هي الأساسَ الذي قامَ عليه تصنيفُه للعلومِ حسب الغرض منها.

أ. العلومُ النظريَّةُ:

وهي التي تهدفُ للتعريف بالأشياء وشرحِها وتشمل الرياضياتِ الطبيعةَ الفلسفةَ الأولى أو (الميتافيزيقا)، فإذا انتقلنا إلى الفارابيِّ وجدْنَا لديه أوَّلَ نظريَّةٍ في تصنيفِ العلوم لدَى المسلمين ونقول "نظريَّة" لأنَّها تحتوي على الجانبيْنِ؛ النظريِّ والتطبيقيِّ معًا.

أمَّا الجانب النظريُّ فيوجد في نصٍّ مُهمٍّ ورد في رسالة الفارابيِّ "التنبيه على سبيل السعادة". (الفارابي، 1346 هـ).

(1) علم الموسيقى: وأما علم الموسيقى فإنه يشمل بالجملة على أن يعرف أصناف الألحان وعلى ما منه يؤلف، كيف يؤلف وبأي أحوال يجب أن تكون حتى يصير فعلها أنفذَ وأبلغَ. والذي يعرف بهذا الاسم عِلْمان؛ أحدهما: علم الموسيقى العملية. والثاني: علم الموسيقى النظرية. والنظرية يعطي علمها وهي معقولة، ويعطي أسباب كلّ ما يأتلف من الألحان، لا على أنها في مادة بل على الإطلاق وعلى أنها منتزعة عن كلّ آلة وعن كلّ مادة ويأخذها على أنَّها مسموعةٌ على العموم ومن أيِّ آلة اتفقت ومن أيِّ جسم اتفق.

والمقارنةُ بينَ تصنيف الفارابيِّ وتصنيفِ أرسطو تؤدِّي بنا إلى عِدَّةِ ملاحظات يُمكنُ إجمالُها فيما يلي:

أوَّلًا- على الرغم من متابعة الفارابيِّ لأرسطُو في تسمية العلوم: نظريَّةً وعمليَّةً، فإنَّ الأساس لدى الفارابيِّ يبدو متميِّزًا إلى حدٍّ ما؛ إذْ إنَّ موضوعاتِ المعرفة في العلوم النظريَّة لا دخل للإنسان في نشأتها أو تكوينِها على حين أنَّ العلومَ العمليَّةَ هي التي تَقبلُ موضوعاتُها التَّنفيذَ على يد الإنسان كما هو الحال بالنِّسبة للعلوم الأخلاقيَّةِ والسياسيَّةِ.

ثانيًا- تتَّفقُ مجموعُ العلوم النظريَّةِ عند كلٍّ من الفيلسوفيْنِ وهي (الرياضيَّات والطبيعة والفلسفة الأولى لدى أرسطو)، و(علم التعاليم والعلم الطبيعيُّ والعلم الإلهيُّ لدى الفارابي).

والملاحظُ هنا أنَّ الفلسفةَ الأولى أو الميتافيزيقا الإغريقية تصبحُ لدى الفارابيِّ هي العِلمَ الإلهيَّ الذي ينقسمُ إلى ثلاثةِ أجزاء وتهدفُ في النهاية إلى الاستدلال على وجودِ الله، وهكذا يتمُّ توظيفُ أحدِ أهمِّ موضوعاتِ الفلسفة ليخدُمَ عند الفارابي غرضًا دينيًّا وإسلاميًّا.

ثالثًا- تشمل مجموعةُ العلوم العلميَّة عند أرسطو كُلًّا من الأخلاقِ والاقتصادِ والسياسةِ في حين تندمج بعضُ هذه العلوم عند الفارابيِّ كما فعل في العلم المدنيِّ الذي يشمل الأخلاقَ والسياسةَ معًا.

رابعًا- ينفرد الفارابيُّ بإضافة علم الكلام، الذي يجعلُ غرضَه الأساسيَّ الدِّفاعَ عن الآراء الدينيَّة وبيانَ زَيْفِ ما يُخالفها. (الفارابي، 1949).

خامسًا- أمَّا علمُ اللسان وعلمُ المنطق فيضعهما الفارابيُّ في مقدِّمة تصنيفه باعتبار أنَّهما مقدِّمةٌ ضروريَّةٌ لسائرِ العلوم: الأوَّل لتقويم اللسان وحفظِ اللغة القوميَّة والثاني لتقويمِ العقلِ وتسديدِ خُطاه نحْوَ الصَّواب والحقِّ وصيانتِه من الخطأ والزَّلل.

ومن الواضح أنَّ هذيْنِ العلميْنِ يردان عند أرسطو في مجموعة العلوم الشِّعريَّة التي تهدف إلى إنتاج الأعمال الأدبيَّة.

وهكذا يتبيَّنُ أنَّ تصنيفَ الفارابي قد استغرق كلَّ العلوم التي وردتْ في تصنيفِ أرسطو، غيرَ أنَّه زاد عليها بعضَ العلوم الأخْرى التي اقتضَتْها طبيعةُ المجتَمع الإسلاميِّ مثل علم الفقهِ (في قسْمِه الأوَّل الذي جعله لاستنباط الأحكام التي لم يصرِّحْ واضعُ الشريعة بتحديدها قياسيًا على ما صرَّح به). (الفارابي، 1949).

وذلك يثبت أنَّ كتاب "إحصاء العلوم" يفصِّلُ (ويكمِّل أيضًا) نظريَّة الفارابيِّ في تصنيف العلوم وهو منَ هذه الزَّاويةِ لا يُعَدُّ "دائرةَ معارف" كما ذهب إليه بعضُ الباحثين الغربِيِّين

والشَّرقِيِّين[1].

كما أنَّه ليس إحصاءً واقعيًّا للموجود بالفِعْل من العلوم في عصْر الفارابيِّ، وإنَّما هو مخطَّطٌ لما ينبغي أنْ تكونَ عليه حالةُ العلوم وبيان فائدة كلٍّ منها وتوضيح أجزائه.

ولعلَّ سوءَ الفهم الذي ارتبط بهذه النقطة يرجع إلى قول الفارابي في مقدمة كتابه: "قصدنا في هذا الكتاب أنْ نحصيَ العلوم المشهورة علمًا علمًا ونعرفَ جُمَل ما يشتمل عليه كلُّ واحد منها وأجزاء كلِّ ما له منها أجزاء وجمل ما في كلٍّ واحد من أجزائه". (الفارابي، 1949).

ومصطلحُ "العلوم المشهورة" في رأينا مصدر اللَّبس، فقد فُهمت على أنَّها المشهورةُ والمتداوَلةُ في عصر الفارابيِّ بالفعل ولكنَّ الذي نحاولُ إثباتَه هنا، ويساعدنا التاريخ الثقافيُّ للعالم الإسلاميِّ عليه هو أن عددًا من تلك العلوم التي ذكرَها الفارابيُّ لم تكنْ تستحقُّ الوصف بالشُّهرة.

هذا من ناحيةٍ ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ أجزاءَها التي أفاض الفارابيُّ في ذكرها لم تكن معروفةً لدى المسلمين بذلك التفصيل، والنتيجة أنَّ ما جاء في كتاب الفارابيِّ ليس إلا تصوُّرُه الخاصُّ أو بعبارة أدقَّ: "الفلسفي لتصنيف العلوم".

ولا شكَّ أنَّ هذا الفرع الفلسفيَّ كان جديدًا على العالم الإسلاميِّ وأنَّ الفارابيَّ أوَّلُ من حاول تقديمه مستعينًا في ذلك بما ورد لدى أرسطو بعد أنْ أدخل عليه التعديلاتِ التي رآها مناسبةً لكي يتمشَّى مع طبيعةِ المجتمع الإسلاميِّ ويلبِّيَ حاجاتِه، وفي رأينا أنَّ إحساس الفارابي بأهمِّيةِ هذا الفرع هو الذي جعله يفي في بيانِ منافعِه وقد عدَّد لذلك وجوهًا مؤكِّدًا أهميَّةَ تصنيف العلوم عنده:

الوجهُ الأوَّلُ:

أنَّ تصنيفَ العلومِ يُعد مدخلًا ضروريًّا للتعلم وتبصيرًا لازمًا لمن يريدُ أنْ يشتغلَ بعلمٍ من العلوم وتعريفًا مُهمًّا بالفائدةِ المرجوَّة من تحصيلِه ، فهُو من هذه الزَّاويةِ عبارةٌ عن خريطةِ معرفيَّة متكاملة تقدِّم لقارئها حدودَ العلم ومساحاتِه ، وتضع يدَهُ بسهولةٍ على كنوزه ومناجمِه كما أنَّه دليلٌ أمينٌ يبيِّنُ للسالك طبيعة الدَّربِ الذي يسير فيه ويُبصِّره بعيوبه ومزاياه يقول الفارابيُّ: "وينتفع بما في هذا الكتاب لأنَّ الإنسان إذا أراد أنْ يتعلَّمَ علمًا منْ هذه العلومِ فينظرَ فيه عَلِمَ على ماذا يُقْدِم، وفي ماذا ينظرُ، وأي شيء سيفيدُ بنظرِه، وما غناءُ ذلك وأيُّ فضيلةٍ تنالُ به، ليكونَ على ما يُقدِمُ عليه منَ العلوم على معرفةٍ وبصيرةٍ لا على عمًى وغرَرٍ". (الفارابي، 1949).

(1) من بين هؤلاء: شتيشدر، وديتريصي، وفارمر، والبستاني، وجورجي زيدان، وأحمد زكي، وفريد.

الوَجْهُ الثَّانِي:

أنَّ تصنيفَ العلومِ يُشبِهُ بانوراما شاملةً يُطلُّ عليها طالبُ العلم فيستوعبُ بنظرةٍ واحدةٍ ما فيها من سهولٍ وهضابٍ وكذلك ما تشتمل عليه من جواهرَ وحصَى، ومن المؤكَّد أنَّ مثلَ هذا الطالبِ لا يستطيع أنْ يدرك قيمةَ علم من العلوم بمعزلٍ عن باقيها، ولذلك فإنَّه لا بدَّ له من المقارنة (المقايسة) حتَّى تظهرَ المميِّزاتُ وتنكشفَ العيوبُ. يقول الفارابيُّ: "وبهذا الكتاب يَقدِرُ الإنسانُ على أنْ يقايسَ بين العلوم فيعلم أيُّها أفضلُ وأيُّها أنفعُ وأيُّها أتقنُ وأوثقُ وأقوى وأيُّها أوهنُ وأوهى وأضعفُ". (الفارابي، 1949).

ولقد سبق أنْ أشرْنا من قبلُ إلى أنَّ الفارابيَّ قد فصَلَ (الإلهيَّات) عن علم الكلام مع أنَّ هذا العلم قد جرى العُرْفُ على أنْ يشملَ ثلاثةَ مباحثَ أساسيَّة هي: (الإلهيَّاتُ - النبوَّاتُ - السمعيَّاتُ) ولعلَّنا الآنَ نُدرك سرَّ هذا الفصْلِ؛ فالفارابيُّ يريد أنْ تكونَ الإلهيَّاتُ - التي تمثِّل الأساسَ في قيام الدِّين - مبنيَّةً على منهجِ البرهانِ المستمدِّ من المنطق والذي تبلغُ نسبةُ اليقين فيه أعلى درجة مُمْكنة

والسؤال الذي يبرُزُ هنا: هل كتابُ الفارابيِّ إحصاءٌ أم تصنيفٌ؟

إنَّ الإجابةَ على هذا السؤال تؤصِّلُ مفهومًا لجهد الفارابيِّ من خلال فلسفةِ العلوم وتصنيفِها، وهو ما عبَّر عنه " الإحصاء"، كونَه ثراثًا فلسفيًّا تراكميًّا من خلال مؤلفاتِه التي سبقتْهُ ، لذا يبقَى أنَّه محاولة في رسم حدود معرفيَّةٍ وفلسفيَّة ومجالِ العقل في مستوييْهِ: النظريِّ والعمليِّ.

لذا فالذين يذهبون إلى أنَّ عمل الفارابيِّ يدخلُ تحت باب الإحصاء يجرِّدونَه بالتالي من طابعِه الفلسفيِّ، وقد سبقت الإشارةُ إلى أنَّهم يعتمدون في ذلك على عنوانِ كتاب الفارابيِّ نفسِه من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أخرى على ما ورد في مقدِّمته: "قصدُنا في هذا الكتاب أنْ نُحصيَ العلومَ المشهورة علمًا...". (الفارابي، 1949).

ونحنُ لا نختلفُ معهم حول ما صرَّح به الفارابيُّ، فهو بالفعل إحصاءٌ فعليًّا يجمعُ كلَّ العلومِ التي كانت موجودةً في عصْرِه، لأنَّ هناك عددًا منَ العلومِ قد ذكرَها الفارابيُّ دونَ أنْ تكونَ موجودةً ولا مشهورة على حدِّ قوله في مجتمعِه، (مثل: علم السياسة)، وفي المقابل من ذلك كانت هناك علومٌ مشهورةٌ ولكن الفارابيَّ أغفلها تمامًا مثل علمِ التفسير وعلمِ التصوُّف... إلخ.

لذلك فالباحث يميلُ إلى اعتبار "إحصاء" الفارابيِّ إحصاءً نظريًّا، أو بتعبير فلسفيٍّ إحصاء معياريًّا لمَا ينبغي أن تكونَ عليه العلوم في المجتمع الإسلاميِّ ، ومن هذه الزَّاوية يدخلُ إحصاءُ الفارابيِّ مباشرةً في مجال نظرياتِ تصنيفِ العلومِ.

وممَّا يُحسب للفارابيِّ بدُونِ شكٍّ أنَّه استطاعَ أنْ يُقدِّم للمجتمع الإسلاميِّ في مطلعِ القرْنِ الرَّابع الهجريِّ خريطةً متوازنة لمجموع العلوم التي ينبغي أنْ يَنْصبَّ الاهتمامُ عليها.

ومع أنَّ تصنيفَ الفارابيِّ يتضمَّن - كما رأينا من خلال العرض التحليليِّ السابقِ - مزايا كلِّ علم وقيمةَ الأدلة المستخدمة فيه فإنَّه لا يفضِّل علمًا على علمٍ أو مجموعةً من العلوم على مجموعةٍ أخْرى وهو الأمر الذي حدث للأسف فيما بعد عندما راح المؤلِّفون المسلمون يتباهَوْنَ فيما بينهُم بأنَّ العلم الذي يشتغل به راحت تختفي من المجتمع الإسلاميِّ بعض العلوم في الوقت التي سيطرتْ فيه علومٌ أخرى ، فأصبح كالأعرج الذي يمشي على قَدمٍ واحدةٍ. ولقد كان من أسوإ ما أصاب الحركةَ العلميَّة لدى المسلمين هو ضعفُ ثمَّ اختفاءُ العلومِ الرياضيَّةِ والطبيعيَّةِ وانفراد العلومِ اللغويَّةِ والدِّينيَّةِ وحدَها. (الفارابي، 1949).

الخاتِمةُ ونتائجُ البحْثِ:

وفي ختامِ هذا الورَقةِ البحثيَّةِ نَصلُ إلى بيَانِ النتائج التاليةِ:

1. لكتاب "إحصاء العلوم"، أهمِّيَّةٌ كبرى؛ إذ إنَّه ترك مساحةً واسعةً للتعرُّف إلى ملامحِ إبستمولوجيا العلوم العربيَّة خلالَ العصر الوسِيط، وخاصَّةً ما ركَّز عليه منَ الحكْمةِ النظريَّة التي تناولتْ علومًا كالإلهيَّات والرياضيَّات، والطبيعيَّات.

2. تظهرُ قيمةُ تظرية المعرفة من خلال تعزيزِها لعمليَّة النَّقد في المجالاتِ العلميَّة، وهذا النَّقدُ كفيلٌ بأنْ يجعلَ المعرفةَ مجرَّدةً عن كلِّ ما يُضعفُ قيمتَها، ويَجعَلَهَا ذاتَ استقلال تامٍّ.

3. الإنسانُ مجبولٌ على حبِّ المعرفةِ والسعيِّ للبحث عنْها واستكشافِها، ومن خلال ذلك تكمُنُ قيمةُ المنهجية في معرفة ما وراءَ العلم من أساسيَّاتٍ ومبادئَ يتَّكئُ عليها.

4. إنَّ دراسةَ الإبستمولوجيا أوضحتْ لنا المذاهبَ والتيَّاراتِ الفلسفيَّةَ التي لها دوْرٌ مُساهمٌ في بناء العلومِ، ومنْ وجْهٍ آخرَ فإنَّها بيَّنت لنا مختلفَ الطرائقِ التي يتبنَّاها النَّاسُ في المعرفة.

5. منْ خلالِ البحثِ الإبستمولوجيِّ أصبح الإنسانُ مُؤَهَّلًا ومتمكِّنًا من إصدار الأحْكامِ على القضايا المتعلِّقة بالعلومِ.

6. إنَّ قيمةَ البحوثِ المعرفية تكْمُنُ بأنَّها مرآةٌ تعكسُ التطوُّرَ العلميَّ والثقافيَّ لدى المجتمعاتِ، من خلال معرفةِ طبيعةِ المعرفة التي يتبنَّاها مجتمعٌ ما.

7. الإبستمولوجيا تزوِّدُنا برؤًى خاصَّةٍ تصفُ منْ خلالها واقعَ العلم من خلالِ محْتواهُ ومصطلحاتِه ومبادئِه وتسمَّى فلسفةَ العلم.

8. تباينتِ المدارسُ الفلسفيَّة حول القيمةِ منَ نظرية المعرفة بين نافٍ لها ومُثبتٍ لها وشاكٍّ فيها، أبرزُ هذه المدارس هي: الماركسيَّةُ، والسُّفسطائيَّةُ، والشكِّيَّة، والنِّسبيَّةُ.

9. إنَّ جوهرَ فلسفةِ العلوم وتصنيفِها ما عبَّرعنه كتاب "إحصاء العلوم"، الذي أفرده المعلِّمُ الثاني، تفصيلًا للقولِ المُمْكن بشأنِ تصنيف العلوم، فضلًا عن كونِه محاولة في رسم حدودِ ومجالِ العقل في مستويَيْهِ: النظريِّ والعمليِّ.

10. لم يكتفِ الفارابيُّ في إحصاءِ العلوم بمجرَّدِ ذكْرِ مختلف العلوم والفنون الشائعة في عصره، بل اهتمَّ بترتيبِها وتصنيفِها، فالذي يقرأُ الكتابَ يستطيعُ أنْ يقارنَ ويقايسَ بين تلك العلوم ويعرفَ أيُّها أفضلُ وأنفعُ، وقد جمع الفارابيُّ في إحصاء العلوم بين علومِ الحكمةِ المنبثقةِ من التراث اليونانيِّ والعلوم الدينيَّةِ النابعةِ عن التراثِ العربيِّ الإسلاميِّ.

قائمة المصادر والمراجع:

أبي أصيبعة، أبو العباس (1995). عيون الأنباء في طبقات الأطباء (تحقيق نزار رضا). دار الحياة.

ابن الأندلسي، صاعد بن أحمد (1982). طبقات الأمم (تحقيق لويس اليسوعي). المطبعة الكاثوليكية.

(1997). بحوث ودراسات فلسفية. مهداة إلى أ. د. أحمد محمود صبحى. دار المعرفة الجامعية.

بدوي، عبد الرحمن (1984). موسوعة الفلسفة. المؤسسة العربية للنشر.

البيهقيُّ، ظهير الدين (1946). تاريخ حكماء الإسلام (تحقيق محمد كرد علي). مطبعة الترقي.

الجرجاني، علي بن محمد (1983). التعريفات. دار الكتب العلمية.

ابن حيان، جابر (د.ت.). رسالة الحدود ضمن كتاب رسائل جابر بن حيان (تحقيق ول كرلوس). مكتبة المثني.

ابن خلِّكان، شمس الدين (1948). وفيات الأعيان.

خليفات، سحبان (1988). رسائل أبي الحسن العامري وشذراته الفلسفية (دراسة ونصوص). منشورات الجامعة الاردنية.

ابن رشد، أبو الوليد (1126م). تهافت التهافت - القسم الثاني (تحقيق سليمان دنيا). طبعة دار المعارف.

ابن سينا، أبو علي (1908). تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات. مطبعة هندية.

السيوطيُّ، جلال الدين (2004). معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (المحقق أ. د محمد إبراهيم عبادة). مكتبة الآداب.

شيلدز، كريستوفر (2019). موسوعة ستنافورد للفسلفة- فصل رسطو (ترجمة علي الحارس). مجلة حكمة.

الصفدي، صلاح الدين (2000) الوافي بالوفيات. دار إحياء التراث.

صليبا، جميل (1414هـ). المعجم الفلسفي. دار الكتاب العالمي.

صليبا، جميل (د.ت.). المعجم الفلسفي. دار الكتاب اللبناني والمصري.

عبد القادر، ماهر (2018). حلقة فيينا؛ تصورها العلمي للعالم فجر فلسفة العلوم المعاصرة (طبعة خاصة بالطلبة). جامعة الإسكندرية و دار المعارف الجامعية.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (د.ت.). شذرات الذهب في أخبار من ذهب (تحقيق عبد القادر الأرنؤوط). دار ابن كثير.

الفارابيُّ، أبو نصر (1949). إحصاء العلوم (تحقيق عثمان أمين، ط2). دار الفكر العربي و مطبعة الاعتماد.

الفارابيُّ، أبو نصر (1996). إحصاء العلوم (تحقيق علي بو ملحم). دار ومكتبة الهلال.

الفارابيُّ، أبو نصر (1995). تحصيل السعادة (تقديم د. علي بو ملحم). دار الهلال.

الفارابيُّ، أبو نصر (2012). التعليقات. المركز العالمي العراقي و دار البصائر.

الفارابيُّ، أبو نصر (1346هـ). التنبيه على سبيل السعادة. ط حيدر آباد الهند.

الفارابيُّ، أبو نصر (1938). رسالة في العقل (تحرير الأب موريس بويج). المطبعة الكاثوليكية.

الفارابيُّ، أبو نصر (1990). كتاب الحروف (تحقيق محسن مهدي، ط2). دار المشرق.

الفارابيُّ، أبو نصر (1985). المنطق عند الفارابيّ، المكتبة الفلسفية (تحقيق د. رفيق العجم). دار المشرق.

القفطيُّ، جمال الدين عليٌّ (د.ت.). تاريخ الحكماء. مؤسسة الخانجي.

الكندى، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (1950). رسالة في كمية كتب أرسطو ضمن كتاب رسائل الكندى الفلسفية (تحقيق د. محمد عبد الهادى أبو ريدة). دار الفكر العربى.

الكِنديُّ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (1978). رسائل الكنديِّ الفلسفية - القسم الأول (تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط2). دار الفكر العربي و مكتبة الخانجي.

لالاند، أندريه (2001). موسوعة لالاند الفلسفية (ترجمة خليل أحمد، ط2). منشورات عويدات.

م. روزنتال ب، يودين (1985). الموسوعة الفلسفية (ترجمة سمير كرم، ط5). دار الطليعة.

محمود، زكي نجيب (د.ت.). جابر بن حيان (سلسلة أعلام العرب). المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

مجمع اللغة العربية (1983) المعجم الفلسفي.

ابن منظور، محمد جمال الدين (1414هـ) لسان العرب (ط3). دار صادر.

ابن النديم، محمد بن إسحاق (1971). الفهرست (تحقيق رضا تجدد).

النشار، مصطفى (1998). مدخل جديد إلى الفلسفة. دار أنباء للنشر.

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية: Romanized Arabic References:

ʾaby ʾaṣyb‘h ʾabw al-‘bās (1995). ‘yūn al-ʾānbāʾ fy ṭbqāt al-ʾāṭbāʾ (tḥqyq nzār rḍā dār al-ḥyāt abn al-ʾāndlsy ṣā‘d bn ʾaḥmd (1982). ṭbqāt al-ʾāmm (tḥqyq līs al-ysw‘y al-mṭb‘h al-kāthwlykyh (1997). bḥwth wdrāsāt flsfyh mhdāt ʾilā ʾ d ʾaḥmd mḥmwd ṣbḥā dār al-m‘rfh al-jām‘yh bdī ‘bd al-rḥmn (1984). mwsw‘h al-flsfh al-m’ussh al-‘rbyh llnshr

al-byhqyu ẓhyr al-dyn (1946). tārykh ḥkmāʾ al-ʾislām (tḥqyq mḥmd krd ʻly mṭbʻh al-trqy

al-jrjāny ʻly bn mḥmd (1983). al-tʻryfāt dār al-ktb al-ʻlmyh

abn ḥyān jābr (d.t.). rsālh al-ḥdwd ḍmn ktāb rsāʾil jābr bn ḥyān (tḥqyq wl krlws mktbh al-mthny

abn khllikān shms al-dyn (1948). wfyāt al-ʾāʻyān

khlyfāt sḥbān (1988). rsāʾil ʾabā al-ḥsn al-ʻāmry wshdhrāth al-flsfyh (drāsh wnṣwṣ mnshwrāt al-jāmʻh al-ardnyh

abn rshd ʾabw al-wlyd (1126m). thāft al-thāft - al-qsm al-thāny (tḥqyq slymān dnyā ṭbʻh dār al-mʻārf

abn synā ʾabw ʻly (1908). tsʻ rsāʾil fy al-ḥkmh wa-al-ṭbyʻyāt mṭbʻh hndyh

al-syūṭyu jlāl al-dyn (2004). mʻjm mqālyd al-ʻlwm fy al-ḥdwd wa-al-rswm (al-mḥqqʾ d mḥmd ʾibrāhym ʻbādh mktbh al-ʾādāb

shyldz krystwfr (2019). mwswʻh stnāfwrd llfslf#- fṣl rsṭw (trjmh ʻly al-ḥārs mjlh ḥkmh

al-ṣfdy ṣlāḥ al-dyn (2000) al-wāfy bi-al-wfyāt dār ʾiḥyāʾ al-trāth

ṣlybā jmyl (1414h). al-mʻjm al-flsfy dār al-ktāb al-ʻālmy

ṣlybā jmyl (d.t.). al-mʻjm al-flsfy dār al-ktāb al-lbnāny wa-al-mṣry

ʻbd al-qādr māhr (2018). ḥlqh fyynā tṣwrhā al-ʻlmy llʻālm fjr flsfh al-ʻlwm al-mʻāṣrh (ṭbʻh khāṣh bi-al-ṭlbh jāmʻh al-ʾiskndryh w dār al-mʻārf al-jāmʻyh

abn al-ʻmād ʻbd al-ḥy bn ʾaḥmd bn mḥmd (d.t.). shdhrāt al-dhhb fy ʾakhbār mn dhhb (tḥqyq ʻbd al-qādr al-ʾārnʾūṭ dār abn kthyr

al-fārābyu ʾabw nṣr (1949). ʾiḥṣāʾ al-ʻlwm (tḥqyq ʻthmān ʾamyn ṭ dār al-fkr al-ʻrby w mṭbʻh al-aʻtmād

al-fārābyu ʾabw nṣr (1996). ʾiḥṣāʾ al-ʻlwm (tḥqyq ʻly bw mlḥm dār wmktbh al-hlāl

al-fārābyu ʾabw nṣr (1995). tḥṣyl al-sʻādh (tqdymd ʻly bw mlḥm dār al-hlāl

al-fārābyu ʾabw nṣr (2012). al-tʻlyqāt al-mrkz al-ʻālmy al-ʻrāqy w dār al-bṣāʾir

al-fārābyu ʾabw nṣr (1346h). al-tnbyh ʻlā sbyl al-sʻādh ṭ ḥydr ʾābād al-hnd

al-fārābyu ʾabw nṣr (1938). rsālh fy al-ʻql (tḥryr al-ʾāb mwrys bīj al-mṭbʻh al-kāthwlykyh

al-fārābyu ʾabw nṣr (1990). ktāb al-ḥrwf (tḥqyq mḥsn mhdy ṭ dār al-mshrq

al-fārābyu ʾabw nṣr (1985). al-mnṭq ʻnd al-fārābyi al-mktbh al-flsfyh (tḥqyq d rfyq al-ʻjm dār al-mshrq

al-qfṭyu jmāl al-dyn ʻlyun (d.t.). tārykh al-ḥkmāʾ mʾussh al-khānjy

al-kndā ʾabw yūsf yʻqwb bn ʾisḥāq (1950). rsālh fy kmyh ktb ʾarsṭw ḍmn ktāb rsāʾil al-kndā al-flsfyh (tḥqyq d mḥmd ʻbd al-hādā ʾabw rydh dār al-fkr al-ʻrbā

al-kindyu ʾabw yūsf yʻqwb bn ʾisḥāq (1978). rsāʾil al-kndyi al-flsfyh - al-qsm al-ʾāwl (tḥqyq mḥmd ʻbd al-hādy ʾabw rydh ṭ dār al-fkr al-ʻrby w mktbh al-khānjy

lālānd ʾandryh (2001). mwswʻh lālānd al-flsfyh (trjmh khlyl ʾaḥmd ṭ mnshwrāt ʻīdāt

m rwzntāl b yūdyn (1985). al-mwswʻh al-flsfyh (trjmh smyr krm ṭ dār al-ṭlyʻh

mḥmwd zky njyb (d.t.). jābr bn ḥyān (slslh ʾaʻlām al-ʻrb al-mʾussh al-mṣryh al-ʻāmh llt'alyf wa-al-trjmh wa-al-nshr

mjmʻ al-lghh al-ʻrbyh (1983) al-mʻjm al-flsfy

abn mnẓwr mḥmd jmāl al-dyn (1414h) lsān al-ʻrb (t3). dār ṣādr

abn al-ndym mḥmd bn ʾisḥāq (1971). al-fhrst (tḥqyq rḍā tjdd

al-nshār mṣṭfā (1998). mdkhl jdyd ʾilā al-flsfh dār ʾanbāʾ llnshr

Theoretical wisdom in Al-Farabi's Book Ihsaa Al-Uloum (Statistics of Sciences): Philosophical study

Hani bin Abdullah AL-Mulhim[1]

Abstract:

This paper will answer a central question concerning the purpose of writing the book Ihsaa Al-Uloum (Statistics of Sciences) by the Muslim philosopher Abu Nasr Al-Farabi, which has received great attention from Westerners, especially during the first wave of the translation movement, particularly the theoretical wisdom of Al-Farabi. The book dealt with the essence of the philosophy of science and its classification, known as al-Farabi epistemology. This paper focuses on the following issues: (1) what is the theoretical wisdom about Al-Farabi? (2) What is the value of the Science Statistics Book in this theory? And (3) what is the epistemological value of this work in Al-Farabi's philosophy?

Keywords: science, theoretical wisdom, knowledge, epistemology, the science of doctrines

(1) Colleg of Arts - King Faisal University (AL-Ahsa - Kingdom of Saudi Arabia)
hani077@hotmail.com